

فانتازيا ذات مرة فى الغرب

www.liilas.com/vb3
^ RAYAHEEN ^



فانتازيا

مغامرات ممتعة
من أرض الخيال

روايات
مصرية الجيب

ذات مرة في الغرب

حين تأخذنا (عبير) إلى الغرب
نعرف أننا سنواجه كل شيء .. الهنود
الحممر الشائرين .. والوعاظ المزيفين ..
والدببة الشهياء الغاضبة ..
والجصعيات السرية التي شعاعها
الدم .. والأوغاد المتحرشين بكل قائم
في الحانات .. كل هذا وأكثر نلقاه في
مرة .. ذات مرة في الغرب ..



د. احمد خالد توليق

الشمس
وبالهدوء يبيع
لر سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة

الناشر والتوزيع

7467155 - 7467156 - 7467157

طبعة 1995

مقدمة

اسمها (عبير) ...

لم يكن لها نصيب من اسمها ... فهي تفتقر إلى الجمال الذي يوحي به الاسم .. إنها سمراء نحيلة بارزة عظام الوجنتين ، باردة الأطراف .. ترتجف رعباً من أى شيء وكل شيء ...

إنها حتى غير مثقفة .. وكل المقاييس المعروفة لا تصلح كي تكون بطلتنا .. أو بطلة أى شقص سوانا .. هي لا تلعب التنس ، ولا تعرف السباحة ، ولا تقود سيارات (الرالى) ، وليست عضواً فى فريق لمخافة الجاسوسية ، أو مقاومة التهريب ..

لكن (عبير) - برغم ذلك - تملك أرق روح عرفتها فى حياتي .. تملك إصامياً بالجمال ورفقاً بالكائنات .. وتملك مع كل هذا خيالاً يبع المحيط بكل ما فيه ...

لهذا أرى أن (عبير) هى ملكة جمال الأرواح ، إذا وجد قلب كهذا يوماً ما ..

ولهذا أرى أن (عبير) تستحق مكافأة صغيرة ... ستكون بطلتنا الدائمة .. ولسوف نتعلم معا كيف نحبها ونخاف عليها ونرتجف فرحاً إذا ما حاق بها مكروه

ولأن (عبير) تملك القدرة على الحلم .. ولأنها تفتزن فى مقدمة مخها مئات الحكايات المسلية ، وألف الأحداث التى خلقتها إبداع الأكياء عبر العصور ..

لذلك ولع عليها الاختيار كي ترحل إلى (فانتازيا) .. (فانتازيا) أرض الأحلام التى لا تنتهى ..

(فانتازيا) حيث كل شيء ممكن .. وكل حلم متاح .. (فانتازيا) جنة عاشقى الخيال

ولسوف نرحل جميعاً مع (عبير) .. سنضع حاجياتنا وهمونا فى القطار الذاهب إلى (فانتازيا) ..

وهناك سنتعلم كيف نحلم ... إن صغير القطار يدوى ، والبخار يتصاعد حول قاطرته ..

هو ذا جرس المحطة يذق .. إذن فلتسرع ...! لقد حان موعدنا مع الأحلام فى (فانتازيا) ..

★ ★ ★

١ - صحارى او كلاهما ..

لأنها تنتمى إلى هناك !

هذا هو السبب الوحيد - فيما أرى - الذى يجعل (شريف) يخضع بهذه السطوة لرغبة (عبير) العارمة فى العودة إلى (فانتازيا) ..

لأنها تنتمى إلى هناك !

ليس (شريف) ضعيف الشخصية .. وليس أحمق .. لهذا أرجح أن هذا هو السبب الوحيد الذى جعله يقبل إنها تنتمى إلى هناك !

ربما قلنا : إن الاكتئاب دامها بعد فراق الجوال .. ربما قلنا إن رثابة الحياة الزوجية تضايقها أحيانا .. ربما قلنا إنها خيالية واهنة فى مواجهة الواقع .. لا يهم .. فكل هذه كلمات .. وما أسهل الكلام .. أما الحقائق فنقول بكل وضوح : إنها تنتمى إلى هناك !

من جديد تقف (عبير) فوق الهضبة ترمى (فانتازيا) تمتهد أمامها إلى ما لا نهاية ..

جاء (المرشد) فى رفق من ورائها .. عرفت قدومه من صوت الـ (تنك - تنك) المميز للقلم الذى يحمله .. قال لها وهو يضع يده فى جيبه :

- « مرحباً بك يا (أليس) ! »

- « (أليس) ؟ »

- « طبعاً .. (أليس) فى بلاد العجائب .. أنت أقرب

ما يكون إلى شخصيتها .. ألا ترين ذلك ؟ .. أنت ضيفتنا

فى أرض (أبداً - أبداً) كما يقول الإنجليز (*) .. »

- « فليكن اسمها (أبداً - أبداً) أو (هريدى) .. »

لا يهم .. المهم أننا أحبها هكذا .. »

- « لم تتأخرى كثيراً فى العودة .. ألم أقل لك : إن

زيارتك ستزداد بعد الزواج ؟ »

أراحت شعرها إلى جانب .. وهمست :

- « بلى .. قلت لى .. لكنى - أقسم - لست تعيية أبداً

فى زواجى .. إن (شريف) ملك حقيقى ، ولم أكن

لأحلم بمنته خاصة فى ظروفى .. أنا التى لا أملك شيئاً

ولا أتمتع بأية موهبة .. »

داعب القلم وثبت عينيه فى عينيه :

« ولكن ... ؟ »

« ولكن لا أجد طعم (فاتقازيا) العاسح فى أى شىء .. ثم إن (شريف) صار أكثر انشغالا .. وأنا أحتل فى عالمه ركنًا صغيرًا جدًا جوار عالم (الكمبيوتر) ، وعالم الإلكترونيات .. »

« تك تك ! »

وابتسم فى خبث .. وأردف :

« خذى الحذر .. فلربما كان يراقب حديثنا هذا

الآن على شاشة (الكمبيوتر) الخاص به ! »

« ليته يفعل ... »

قال لها وهو يرمى اللوادى البعيد :

« هل ترغبين فى زيارة عقلك الباطن ؟ .. إن له

مكانًا هنا .. لكنى أحذرك من أنك لن تحبى كل ما ترىين

هناك .. إن هذا المكان يحوى أبشع أحقادك ورغباتك

وكل ما قسنت فيه ، وكل ما تخشين .. يقولون إن

أفزع الوحوش هى نحن .. وأسوأ اللحظات هى حين

تلقين نفسك دون ستار .. »

تهدت وقلبت فى ملأ :

« كان هذا يلغصنى ! .. لا وحياتك .. دعنى أجهل

عن نفسى كل ما لا أرغب فى معرفته .. »

« إنى هلمى نركب قطار الأحلام .. »

مرّ القطار جوار قلعة (دراكيولا) والبرق يضربها ..

لكنى معالما المرعبة لقوان .. ثم يعود الظلام ..

تهدت (عبير) إذ تكثرت رحلتها المروعة داخل

هذه القلعة .. ومع الهارون (هلسنج) ..

سألت (المرشد) فى سرود :

« هل أستطيع أن أعود لذات المكان مرة أخرى ؟ »

واصل ضغط القلم .. وغمغم :

« سؤال غريب .. بالطبع تستطيعين .. لكن هل

أنت حقًا فى ذلك راغبة ؟ .. نحن لم نر واحدًا فى الألف

من (فاتقازيا) بعد .. فلماذا تضيعين وقتك ؟ »

« لا شىء .. كنت أتساءل فحسب .. »

كانت تحلم بالعودة لتموت مع الجوال .. أو تخوض

مغامرة أخرى مع (٠٠٧) .. أو تعرض مشكلة أخرى

على (هولمز) ..

لكنها لم تنس بعد ما قاله لها (المرشد) : إن

(فاتقازيا) تتبدل باستمرار .. وليس حتميًا أن تجد

القصص حيث تركتها ..

كان هذا حين رأته وأدباً مترامياً تحرق الشمس
أرضه المتشققة .. نباتات الصبار في كل صوب ..
والشجرة الوحشة تتردد دون كلل ..
« أين نحن يا (مرشد) ؟ »
« هذه صحراء في الغرب الأمريكي .. إنه عالم
قصص (الوسترن) .. هل قرأت شيئاً منها ؟ »
« ليس تماماً .. إن (فانتازيا) تحوى خبرات
كثيرة استمدتها من جهاز (التلفزيون) أو السينما »
« إن الخيال هو الخيال .. لكن السينما تملك نعمة
(التخيل) وهي المتعة الكبرى التي تهيك إياها القراءة »
قالت وهي تشبه لتتخلص من الشعور بالحرارة :
« هذا صحيح .. إن السينما تضع خيالاتي في قالب
معد مسبقاً قد لا يروقني كثيراً .. ولكن من مرة رأيت
فيلمًا عن رواية شهيرة ثم زلزلني الشعور بأن (الأمور
لم تكن هكذا في خيالي) ..
ثم نظرت خارج القطار وهتفت :
« دعنا نجرب هذا العالم أيها (المرشد) .. »
« إن أحلامك حقائق يا (أليس) .. »
« (عبير) ! »
« يا (عبير) ! »

وجذب العجل ! ليوقف القطار .
ساعدها على النزول .. وكانت هناك جمجمة لثور برزى
فوق الرمال تحاشتها (عبير) .. ونظرت إلى الأفق :
« هل سيحدث شيء ما ؟ »
قال لها وهو يبتسم كأنما يخاطب طفلاً :
« طبعاً .. ليس من مصلحة أحد شيك حية في هذا
الجحيم .. لو أنك هلكت ستزول (فانتازيا) من
الوجود .. وسأجد نفسي دون عمل .. »
ثم تضحك .. وسألته بصيغة رسمية :
« من أنا هذه المرة ؟ »
تأملها في اهتمام ثم غمغم :
« لفر .. إن ملاحك لا تصلح لتكوينى مهاجرة
أمريكية من الشرق .. أو خاتمة صينية .. إذن ستكونين
(صخرة الماء) .. لك أصل هندي وأب أمريكي .. »
« (صخرة الماء) ؟ » .. ومطت شفيتها مفكرة —
« لا بأس به .. فيه شاعرية فظة .. كانت أمي تدلنني
أحياناً بـ (طوبة) .. تكن ذلك كان في أوقات الرضا
بشكل خاص .. »
« من يدري .. ؟ .. نعل (صخرة الماء) تكرر
للاسع ذاته من عقلك الباطن .. »

وحيث نظرت (عبير) إلى قسميها ؛ عرفت أنها
تتردى حذاء من جلد الجاموس .. وثوباً طويلاً من ذات
الجلد .. وعرفت أن هناك ضفيريّتين جميلتين على
كتفيها .. وخنجرًا في نطاقها .. كما عرفت أن ساعديها
امتلاً بالحلّى والأساور ..
أما آخر ما عرفتّه ، فهو أن (المرشد) رحل
كالعادة ..

٢ - إخوان الدم ..

الشمس تنحدر غرباً ، وقد بلغ حجم قرصها حداً غير
معتول .. حمراء بلون الدم تخضب الزمّال بدمائها ..
لقد وجدت (أمريكا) لأن بعض سكان الشرق
صمموا على أن يطاردوا هذا القرص الأحمر في رحلته
المحمومة نحو الغرب .. وأن يلحقوا به قبل أن يذوب
للأبد في مياه المحيط السرمديّة ..

في ضوء الغروب الأرجواني تتقدم ستة أفراس في
توّة .. يقطع عليها الطريق فرس صابغ ..
و (عبير) لا ترى وجوه الراكبين ، لكنها - بوضوح -
ترى ظلالهم .. وتعرف أنهم يرتدون قبعات واسعة ،
وعباءات تنطّير أطرافها كلما تحركت الخيول ..
الأفراس تقف صفّاً واحداً كأنما هي بانتظار شيء ما .
بعد دقائق يدوى صوت راكب الفرس الصابغ ، وقد
وقف أمامهم كأنما سيلقى عليهم محاضرة :
- « ماذا تبتفون ؟ »
- « الدم ! »

بدوى الصوت جماعيا رهيبا صادرا من مست حناجر
غاضبة .. ويعود الأول بمائلهم :

« وماذا جاء بكم ؟ »

« الدم ! »

« كم تدفعون لأجله ؟ »

« أرواحنا ! »

« متى تكفون ؟ »

« حين نرتوي ! »

« ومتى ترتفون ؟ »

« حين يسود العدل ، وتقام الحملان جوار السباع ! »

« إخوان ؟ »

« إخوان الدم ! »

وعاد السكون يتسج عثه ببطء فوق الرمال ، يعد
ما مزقته الصيحات .. وعرفت (عبير) أن ما جرى هو
نوع من الطقوس تمارسها جماعة ما .. نوع من تريد
ميثاق العهد ..

ولكن من هؤلاء ؟ وماذا يريدون غير الدم ؟؟

هي - عموما - غير راعية فى تقديم نفسها إلى
هؤلاء السادة ذوى الميول الدموية ..

ولمحت خيولهم تنصرف من موضعها ، حيث رقدت

على بطنها فوق الرمال ترمق ما يحدث فوق مرتفع ..
سبعة قتال مهيبه تبتعد نحو الغرب .. نحو قرص
الشمس الهائل ذاته ، كأنما لكذب فيه ..

وحين رحلوا - أخيرا - راحت تهبط المرتفع ..

يا لمرشافتها !.. إنها تشعر بأنها أخف من أرنب
صغير .. وهى تجيد الانزلاق على الرمال ، كأنما تفعل
هذا منذ صغرها ..

سمعت صوت همهمة ..

لم يكن هذا سوى جواد .. جواد رشيق بارع الجمال
يقف بانتظارها وقد راح يعاين الرمال بحافره ..

وأدركت أن هذا هو جوادها بالذات ..

دنت منه وريقت على منخره مداعبة .. هى لم تلمس
جوادا فى حياتها ، لكنها تحب الجياد بجنون .. إن
العلاقة بين المرأة والجواد لعلاقة أزلية أسطورية
تحتاج إلى خبير فى علم النفس ليفسرهما .. ما هو أول
حلم تراه فتاة مراهقة ؟

دائما هو حلم الفارس الذى يختطفها فوق حصان
أبيض ..

إن الحصان هو معادل لروح الأنثى القلقة الراغبة
فى الفرار .. بعيدا .. بعيدا ..



سبعة ظلال مهيبه تبتعد نحو الغرب .. نحو قرص
الشمس الهائل ذاته كأنما لتذوب فيه ..

ولم يكن الحصان مسرجا .. لكنها أنركت أنها قادرة
حتما على ركوبه .. لم لا ؟ .. أليست هندية ؟ ..
أليست هذه (لانتاريا) ؟
وبالفعل ..

وثبت دون جهد إلى ظهره ، ولفت مساقبها حول
جذعه .. ثم ضربت عنقه براحتها ، فانطلق يركض
لوق الرمال ..

إلى أين ؟ .. لا تدري ..
بالتأكيد هو يعرف .. أما هي فقد ذابت في هذا الحلم
الذي لا يوصف .. إنها تركب جواذا بتطلق بها نحو
أرض الشمس الغاريب ..
الموجودات تبرد .. واللون الأرجواني يدخل نطاق
الأزرق ..

وحراة الجو تقل تدريجيا ..
ومن بعد ترى أشجارا .. ونارا .. ويشرا ..

كان المشهد معقدا إلى حد غير عادي ، ولم تحسب
قط أن كل هذا ممكن .. وأن خيالها بهذه الخصوبة ..
معسكر هندي كامل متكامل .. بخيامه المزركشة ..

وخيوله .. وأطقاله العراة .. وكلايه .. ونسائه اللواتي
ينشرن اللحم المقدد على حبال كحبال الغسيل .. ورجاله
الجالسين حول النار .. والطوطم الواقف في منتصف
المكان .. عمود طويل من الخشب نقش عليه وجوه
مخيفة مجسمة ..

وقفت مشدوهة ترمق كل هذا ، وتصنبت أناملها
حول عنق الجواد .. بالتأكيد هي تنتمي إلى هنا ..
رأت رجلاً عارياً الجذع قد حلق أكثر شعر رأسه
تاركاً خصلة في المنتصف ، كما يفعل شباب هذه الأيام
بموضة (الباتك) .. رأته يتقدم منها وعلى وجهه
علامات التساؤل فيساعدها - بيد لولائية - على النزول
من فوق ظهر الجواد ..

ثم يسانها بصوت خشن :

« ماذا وجدت (صخرة الماء) ؟ »

كان يتحدث بلغة غريبة مليئة بالهاءات والواوات ..
لكنها تفهمه تماماً .. كما هي العادة في (فاتناريا)
حيث لم تعد اللغة تمثل مشكلة من أي نوع ..

قالت بصوت مماثل في الخشولة ، وبذات اللغة :

« (صخرة الماء) وجدت وجوهاً شاحبة .. سبعة »

« وماذا كانوا يبتغون ؟ »

« تحدثوا عن الدم .. قسم الدم .. »

« آه ! »

حتى تعبيراتها صارت مختلفة .. شاعرية قليلاً ..
كما تعودته الهنود الحمر أن يتكلموا في كل الأقلام التي
رأتها ..

قادها الرجل إلى مجلس النار ..، فرأت حوالي
خمسین رجلاً جالسين حول عجوز متهدم .. وإن بدا أنه
يمثل ثقل الزعامة هنا .. له عينان ذليقتان زجاجيتان ،
وفم جعلته التجاعيد كثرة طمساً طمسيتها شهرين في
ثلاثتك ..

وكان يدخل من ذلك القليوب الطويل المعلق به
ريش ، والذي يدخلونه دوماً ..

جلست جوار الرجل الأول بقرب العجوز .. وانتظرت
أن يحدث شيء ما .. لكن شيئاً لم يحدث ..

ربع ساعة كامل من الصمت الذي له رائحة التبغ !

متى يتكلم هؤلاء الحمقى إذن ؟ ...

بعد ربع ساعة آخر بصق العجوز في النار .. وتساول
غليوبه للجالس جواره .. ، وهنا قال له الأول :

- « يا خمسة نمور .. إن (صخرة الماء) قد عادت من جولتها .. »

- « هوروروم ! »

- « تقول . إن هناك وجوهاً شاحبة . »

- « هوروروم ! »

- « من المحظور عليهم دخول أرض (السيوكس) »

- « هوروروم ! »

- « إن (ذو الدمال) يرى - بوصفه ابن (خمسة

نمور) - أن هذا خرق للهدنة لن يمر دون عقاب .. »

- « هوروروم ! »

ونفض الفتى - الذي عرفنا أنه (ذو الدمال) - وأخرج

فأما صغيراً من نطاقه .. ولوح به عاليًا .

- « الموت للوجوه الشاحبة !.. إن الطبيب فيهم هو

الميت ! »

فتعالى صراخ الرجال رقيقاً مسجلية مصابة

بالبواسير :

- « هي ي ي ي ي ! الموت لهم ! هي ي ي ي ي ! »

جلست (عبير) منتقعة الوجه ترمق هذا الذي

يحدث .

كل شيء يبدو واقعياً مخيفاً مريفاً

إن هذا الجو الوحشي الوثني لا يناسبها حقاً ..

خاصة أنها - للمرة الثانية - تدرك أنها تلعب دور المخبر

أو الجاسوس ..

في المرة الأولى مع (جالاكتينا) في مجرة أخرى ..

والآن مع (السيوكس) هاهنا ..

شحب وجهها . ثم تذكرت أنها تجاوزت بحياتها لو

صارت وجهاً شاحباً .. من ثم اكتفت بأن يمتنع وجهها !

للمرة الأولى تسمع صوت الزعيم يقول شيئاً آخر

غير أنه (هوروروم) ..

وكان صوتاً واهناً فيه برد الشتاء ومرارته .

- « إني أنتظر اللحاق بأجدادي في أية لحظة .. لكنني

أكره أن أترك أبنائي الشامية يتخطون في السماء ... إن

الوجوه الشاحبة لقوياء ولديهم مذاق .. لهذا أرى أنه

من الشجاعة أن نقرئ وتعرف نواياهم .. قد يكون من

رائعهم (صخرة الماء) عابري سبيل ضلوا الطريق .

الحروب يا أبنائي لا تبدأ من استغراق غير مقصود ..

وأرى أن الصواب يقتضي أن نعرف المزيد عنهم وعن

نواياهم ، و (صخرة الماء) خير من يفعل . لأنها

تعرف لغتهم ولأنها منهم من ناحية الأب . ولأن

(خمسة نمور) يعرف أنها هندية تماما برغم ما لوث
دمها من دماء الوجوه الشاحبة »

ومذ يده يتناول القليون .. وأردف :

- « لقد قال (خمسة نمور) كلمته ! »

عندئذ ساد الصمت ..

وعرفت (عبير) أن مهمتها قد تحددت ..

ولا مجال للتقاش ..

★ ★ ★

٢ - مهمة عبيرة ..

دخلت (عبيير) إلى الخيمة التي فهمت أنها دارها .

داخل الخيمة مظلم لكنه رطيب منعش .

وكانت هناك جلود عديدة معلقة ، ومفروشة على

الأرض ، وعجوز جالسة تلتهم شيئا ما في طبق .

فما إن رأت (عبيير) داخلة حتى هتفت :

- « عندك بعض القديد . يمكن أن تأكله .. »

تحسست (عبيير) المكان في حذر .. وجلست جوار

المرأة وتأملتها هذا ما توقعته منذ سمعت الصوت

إنها أمها .. في الواقع وفي الخيال . هي ذاتها ..

لشذ ما أبدى (دي - جي - ٢) براعة مذهلة في

وضع اللصقات المتممة لوجه العجوز الطيب . لقد

ضفر خصلات شعرها الأشيب وجعلها ترتدى ثوبا من

جلد الثيران . وأضاف بعض تجاعيد (هندية) على

ركنى قمها ..

طبعاً لن تحدثها (عبيير) عن (ضمرة) وعن حياتهما ..

بل ستحدثها باعتبارها عجوز (السيوكس) .. أمها

قالت (عبيير) وهي تلتهم ما يطبقها :

- « الزعيم يريد أن تذهب (صخرة الماء) إلى
الوجوه الشاحبة . »

- « حسنا رأى .. وماذا قال أخوك ؟ »

- « أخى ؟ »

- « نعم . (ذو الدمال) . كيف يرى ذهابك ؟ »

إن (ذو الدمال) هو أخوها .. ولكن كيف ؟ .. لابد
أن أمها تزوجت مرتين .. ، ولكن معنى هذا أن الزعيم
الهندي تزوج من مطلقة الرجل الأبيض .. فكيف ؟
قالت الأم وهي تلوك شيئا :

- « أنت شجاعة نأبيك .. كان خير من يضرج
التيران بالنساء . ولكم من مرة رمى بنفسه إلى أحضان
دب ثائر ؛ ليمزقه بمدبته . »

وحين قال لى (أحبك يا بصقة الجاموس) .. لم
أستطع أن أرى .. جريت إلى خيمتى وتركتة واقفا جوار
الينبوع غير فاهم لشيء .. كان يتردد علينا كثيرا .
ليبيع لنا التبغ والبنادق .. الجميع كان يحبه وخاصة
أنا ، لكن قواتين (السيوكس) صارمة .. لا يمكن لذى
وجه شاحب أن يتزوج فتاة هندية . ، وفرت معه فى
ليلة صيف باسمه . مضينا إلى الويان البعيدة وبينا

كوخا عشنا فيه .. وتزوجنا . ورزقنا بك .. كانت
تلك أياما مجيدة .. ! »

قالت (عبر) محاولة أن تبدو عليمه بالأمر :

- « أظن أن قتل الهنود له كان أليما ؟ »

- « لم يقتله الهنود .. بل ذوو الوجوه الشاحبة .. ،
كيف نصبت ذلك ؟ وعنت بك إلى هنا .. فوافق الزعيم
على أن نعود للانضمام إلى القبيلة . بل وزوجنى ابنه
(خمسة تمور) لأنه كان يحبنى منذ زمن بعيد .. ،
وهأنذا اليوم زوجة الزعيم وأم أولاده (ذو الدمال) ،
و (العاشى للخلف) و (الكلب المعرى) و (المنجاب
الأجرب) .. وأنت ! »

هكذا فهمت (عبر) العلاقات الأسرية المعقدة
المحيطة بها ، وإن لم تستسغ قط أسماء إخوتها من
الأب .. فهي أسماء غير مشرفة ولا توحى بالثقة
صوما .

ودعتها المرأة إلى القوم ، فمددت جسدها المنهك
فوق الحشية شاعرة بقسوة الأرض وخشونتها .

وأغمضت عينيها .. وراحت تحلم ..

تحلم بالمدرسة .. ومكتب (الكمبيوتر) .. و (شريف)

كما قلنا ألفا .. من الطبيعي في الحلم أن نحلم
بالأواقع . كما أن نفي النفي إثبات

صحت من النوم شاعرة بشعور ألف لصن ركلتهم
أحذية ألف شرطى قط ، إذ قبض عليهم متلبسين بالنش
في الزحام ..

وأدركت أن هناك من يهزها .. كما أدركت أن النديك
يصيح ثلاثا . وأدركت أن الظلام مخيم بالخارج ..

عابت تواصل النوم .. لكن الهزات صارت أكثر
عنفًا

وسمعت من يقول لها :

« هيا ..! قد تأخر الوقت ! »

صاحت في حنى :

« ما الذى تأخر ؟ . مازال الظلام دامسًا ! »

« إنه الفجر يا (صخرة الماء) .. وقد صباح النديك

ثلاثًا .. »

نهضت مفككة الأوصال منحرفة المزاج .. فوجدت
جوارها طبقا مليئا بالقديد .. دست في قمها حفتين
منه .

وخرجت من الخيمة لتسرى القلام في كل مكان .

ورأت فتيات يحملن بعض الجرار الفخارية .. خطر
لها أن المرأة - فى كل مكان - يكون عليها أن تحمل
جرة فخارية فى الفجر ذاهبة إلى النهر هذا هو
قعرها .

حملت جرتها على رأسها ومشيت وراءهن ، وهى
تسب وتلحن فى سرها .. كل شيء . الصباح والنديك
والنهر . كل هذا يمكنه أن ينتظر قليلا ريثما تنال قسطا
من النوم ..

راحت الفتيات يمازحنها . وعند النهر أقففت إحداهن
وجها براحتين ملينتين بالماء . وأدركت (صبير)

أنها مصدر تسلية وسخرية دالمتين للفتيات لأنها
(خلاسية) . ولأن منبتها ليس هنديا نقيا تماما .

حتى ولو كان الزعم هو زوج أمها ..

جلست على حافة الماء وراحت تملأ جرتها ..
وترمق فى الماء صورتها التى راقت لها كثيرا

فجأة دوى صوت الخريز ..

إن صوت الدببة ليس خريزا فحسب .. بل هو مزيج
من هدير وزلير وخوار وعواء وغطيط .. لا يمكن
للفظة واحدة أن تصفه ..

خطر لها هذا وهي تسمع الصوت .. وتسمع صراخ القتليات .. ثم تدبر رأسهما لتري ذلك الجبل الأنهب العملاق المنكسر بالفراء ؛ يبرز من وراء الأشجار في ضوء الفجر الأرجواني البكر ..

ورأته يهرع نحوهم فوق أربع .. دب أشهب من النوع الذي يسميه ذئب الوجوه الشاحبة (جريزلي) .. كانت سرعته لا تصدق .. لم تغفل قط أنه قادر على هذا الانقضاض ..

وحين وقف على قدميه الخلفيتين ، ووجه ضربة بيده المخيلية (إلى الفتاة الأولى .. سمعت (عبير) فقرأت عنق الفتاة وهي تتهشم وسقطت الفتاة أرضا . فقتض صفعها .. ثم صاح يهرول قاصدا حشد الفتيات اللواتي ولولن ورمين الجرار أرضا ورحن يجرين هنا وهناك ..

إنه قائم لي .. !

كانت تعرف هذا وتؤمن به ..

لن يتركها . سيختارها هي بالذات . دون الأخريات . بالفعل رأته يركض نحوها على أربع .. واللعب مع الدم يتطاير من فيه .. السننم الصالح بين كتفيه يهتز .. والغضب الجشع يلمع في عينيه .. و ...

لم تحاول الهرب .. أنصقت ظهرها بشجرة وانتظرت .
وهي تصنب الدية . كلف عن التضخم في عينيها
وقف على قدميه الخلفيتين ، وأطلق صرخة مدوية عاتية ، رجعت لها الأرجاء . وفرت للطيور من أعشاشها .. تلك الطيور التي لم تعتد الاستيقاظ مبكرا .
وهي الجسد العملاق فوق الكلا يتحسرج .
ثم همدت حركته تماما ..

وحين فتحت عينيها ؛ كانت أصدااء طلقة الرصاص تتربد في الأجواء . ورأت فارسا يركب جوازا ، وقد أمسك جبندقية يعيد حشوها بالرصاص ..

كان يرتدي قبعة ولثام . وعلى كتفيه عبوة تتطاير أطرافها في الهواء . والنخان ما زال ينبعث من قوة سلاحه ..

وقف ثابته ليرى ما إذا كان الدب ما زال حيا ..
ثم جذب لجام فرسه ، فإطلق ، ليختل بين الأشجار .

★ ★ ★

إخوان الدم !

حتم هو منهم . يلبس مثلهم .. ويبدو مثلهم ..
وقد أنقذ حياتي في اللحظة الأخيرة .

★ ★ ★

فيما بعد قال لها (ذو الدمامل) :
 - « لا عليك إن مهاجمة الدب للنسوة عند الظهر
 جزء تقليدي في أية قصة تدور عند الهنود . لابد من
 دبا .. لكن المشكلة تكمن في الرصاصة .. من صاحب
 هذه الرصاصة التي أنقذت حياة (ذو الدمامل) . ؟ »
 قالت له للمرة الرابعة -
 - « ثم أراه جدت الرصاصة من بين الأشجار »
 قال وهو يجرى رأس السهم الذي يمسكه :
 - « لقد مشط رجالنا وكشافونا الأشجار . ووصلوا
 حتى وادي الهلاك . لكنهم لم يجدوا له أثرا »
 ثم أرنف وهو يضع السهم في قرايه -
 - « يجب أن تذهب غدا إلى الوجوه الشاحبة ؛
 لتعرفي نواياهم .. »

وكيف ذلك يا (ذو الدمامل) ؟
 إن الأمر ليس بسيرا .. فلن تذهب (صخرة الماء)
 إليهم كامرأة تصف هندية . إن الوجوه الشاحبة
 لصوف وأوغاد ولن يرحموها .. سيكون عليها
 أن تتكرر . ترتدى ثياب القمء هناك .. وتضع ظلام



كان يرتدى قبعة .. وثامنا .. وعسى كتفيه عباءة
 تنطير أطرافها في الهواء .

شاحبا على بشرتها من دهن الجاموس .. وثبت شعرها ..
اشتر على شعرها ..

السلامس أمرها حين .. فلدينا ثياب امرأة بيضاء كنا
قد هاجمنا عربية المسافرين التي تقلها منذ عام ،
صحيح أنه ملوثة بالدماء لكن النسوة سوف يفضلنها
جيذا .

الشعر كذلك حين .. فلدينا فروة رأس ذات المرأة ..
وكنا قد سلخناها لحسن الحظ .. إن (الاباش) الحمقى
لا يحبون سلخ الرؤوس ، وهذا يقلل حصيلتهم من
الشعر المستعار .

أما عن اللغة . فأتيت تجدديتها تماما ..
يبقى المبرر لقدومك .

وهذا سهل .. سنهاجم عربية مسافرين وندهرها . ،
بعد هذا تقفين جوارها تبكين .. إلى أن تمر عربية
أخرى .. عندئذ ندهين أن الهندود هاجموا العربية التي
كنت بها ، وألك نجوت بمعجزة . وتطلبين توصيلك
إلى المدينة ..

وفي المدينة نريد منك أن تفتحي عينيك وأنتيك كقط
بري وتسلل .. ما هي نوابههم ؟ من أولئك المتسللون
قرب حدودنا ؟ هل توجد حاميات للجنود الزرق ؟

وهين تلتهمين .. تفرين في جنح الظلام عائدة لنا ..
لا تسمى أن تأخذي هذه التعويذة .. ضعبيها حول عنقك
على تحميك .. وخذى هذه أيضا .. إن الوجوه الشاحبة
تستعملها في اقتناء الأشياء .. يسمونها (دولارات) .
فهم متخلفون لا يحبون نظام المقايضة .. بل هم
لا يرون أهمية للتلميح ولا التبسغ ولا الحلى الزجاجية
الملونة .. إننى لأسائل نفسي عما إذا كان هناك حذا
للغباء البشرى !

وهكذا ..

تروون (عيير) الآن وقد تبدلت تماما هي الآن
أمريكية شقراء ترتدى تنورة واسعة مزركشة وقميصا
أبيض . وقد تبعثرت خصلات الشعر الذهبي على
كتفليها .. وبدأ عليها الإعياء ووعاء السفر .

تقف جوار حطام محترق لعربة مسافرين يتصاعد
منها الدخان ، وقد امتلأ جدارها بالسهام الهندية ذات
الريش .. وهي سهام من النوع الذي يستعمله (الاباش)
طيف ونيس (السيوكس) .. وثمة بلطة ملقاة على
الأرض . ورجلان تم سلخ فروة رأسيهما .. وتمرغ
وجههما الميتان في الرمال ..

الطريق يمتد إلى بعيد في الصحراء .. وانقبط يحرق
بشرتها .. فتند يدها إلى قربة الماء تجرع منها عدة
جرعات .

والآن ترى غباراً في الأفق ..
وترى عربة تجرها أربعة جياد .. يلهب ظهرها
بالسوط حوذى بدین يضع زجاجة خمر في جيبه ..
العربة تدنو أكثر .. والان يراها الحوذى فيشد اللجام
بغف وتغرم الحوافر في الرمال ..

- « أوهيه ! .. فتاة هاهنا ؟ »
فتدنو منه (عبير) لتقول لاهثة :
- « (الأباث) ! هاجموا العربية .. نجوت بأعجوبة ! »
هرش الرجل عنقه ورأسه .. وتجشأ . وقال
- « تيا لهؤلاء الوثنيين . إن الهندي الطيب هو
الذي مات ! .. إن الجنرال (سكوت) يعرف حقاً كيف
يعامل هؤلاء * »

كان ثملاً .. عرفت هذا من أنفه للمحمر الغارق في
العرق ..

هذه هي قواعد قصص (التوبترن) .. الحوذى لا يد
أن يكون بديناً ثملاً .. كما أن قواعد القصص الروسية

تحتج أن يكون الإسكافي (ثملاً) وأحمر الألف
(كسرطان البحر المسلوقة) ..

قال لها وهو ينزع قيعته : لبيدو راقيا :
- « من أنت يا سيّتي ؟ »

- « أنا .. أنا (شارون ستون) .. من (أوهايو) »
لم تجد اسماً أمريكياً اخر في ذهنها سوى اسم هذه
الممثلة التي ترى صورتها أحياناً في صفحة السينما
بالتجريدة .. من العسير أن تجد اسماً حين تبحث عنه ..
وعلى كل حال واضح أن الحوذى لا يتابع السينما
العامة لحسن الحظ ..

- « إنني .. أركبي . نحن نذهبون إلى (هيل تاون) (*) »
برشاقة دارت (عبير) وفتحت باب العربة الخشبي ..
وصعدت لتدس جسدتها بين الركاب ..
وبدأت العربة تتأرجح ببطء نحو المدينة .
لقد انتهى الجزء الأول من القصة ..
دون مشاكل ..

* * *

(*) مدينة الجحيم .

٤ - إلى (هيل تاون) ..

راحت (عبير) في حذر تتأمل الجانسين معها في
العربة ..

أما هذا البدين المتأنق الذي استرخى كرشه أمامه ،
واسترحت كفاء متشابكتين على كرشه ، وأرجع رأسه
للوراء غارقاً في غطيط عال .. فهو تمط .. تمط البشري
الاستغلائي الجبان إلى حد ما .. إنه من أنماط البشر
التي لا تحتاج لمزيد من التعقيد .. عما أنك لست في
حاجة لشرب كوب العصير كله ؛ لتعرف أنه حامض

أما هذه المرأة التي ترخي رقابها على وجهها ، تبدو
من ورائه عيناها النفاثتان اللتان ترمقان (عبير)
كغراب .. فلا يمكن التكهون بشخصيتها

بعد هذا يوجد كهل يرتدى السواد ، وقبعة سوداء
على رأسه .. وبمعك الكتاب المقدس يطالعه في
اهتمام إنه واعظ من النوع الذين يجوبون الغرب
يلا شك ..

ثم - أخيراً - الشاب المتأنق ذو الشارب الرفيع
الجميل ، الذي يقول : إن صاحبه يعاني حالة هيام

ملطوط بذاته ولم يملك يتأملها باعتبار هذا راجبه
القدرى نحو أية لقاة شلبة ..

بعد ثوان الحنت المرأة : لتتناول من حقيبتها القماشية
شيئاً ما .. وتلوطه - (عبير) ..

كان هذا الشيء شطيرة - وقالت - (عبير) في
صرامة :

« لابد أنك جائعة .. »

قضمت (عبير) قضمة ، وبلغ ملىء بالطعام
غمغت :

« حقاً .. أشكرك .. »

« إن شكك مروع ! »

« لقد هاجمتي (الأباتش) منذ دقائق »

« هذا ليس مبرراً .. » - ومطت شفتيها مشمزة -

« المرأة الأنيقة تظل أنيقة حتى وهي في معدة حوت ! »

« ربما .. »

« ولماذا تصافرين وحدك ؟ »

« أوه كنت مع زوجي لكن (الأباتش) »

« هذا ليس عذراً .. » - ثم قالت في تأفف :

« المرأة الطاهرة تفضل الموت مع زوجها على أن

تسافر وحدها ! »

هنا فهت (عبير) ما يحدث إن هذه المرأة هي نموذج للنعاس التي تمقت الكون والناس ؛ ونتيجة لهذا تغدو من غلاة المتطهرين وطلبة المدافعين عن الفضائل .. وهي تجد ذاتها في يوم لآخرين وانتقادهم وهنا اهتزت العربية فطارت المرأة لأعلى ؛ ليصطدم رأسها بسقف العربية وسقطت على مقعدها منهكة تفعم :

« إن هذه المطبات ... »

في استعزاز عميق قالت (عبير) :

« هذا ليس مبررا . المرأة الوقور لا يصطدم

رأسها بسقف العربية أبداً ! .. »

« هذا حق .. سامحيني .. »

اتحنى الشاب في رقة ، وفزع قبعته . وسقط عينيهِ البنيتين - اللتين يظن أنهب تتمتعان بتأثير فتاك - على (عبير) وقال :

« لا بد أنها كانت تجربة قاسية يا سيدة ؟ »

« (ستون) .. (شارون ستون) .. »

قال في مزيد من التملق :

« أنا (جيف جولدبلوم) محاسب .. أما الأنسة فهي من (بلومر) - (إماليا بلومر) (*) وهي في زيارة لشقيقتها في (هيل تاون) أما هذا » وأشار إلى الرجل العاقى ..

« .. فهو مستر (هيك جاتك) .. تاجر من تيار التجار في الشرق .. ، أما الأب ... »

وأشار إلى صاحب الثياب السوداء :

« فهو الأب (جيسس كاترول) .. »

هز الرجل رأسه في وقار .. وابتسم بركن فيه . ثم واصل القراءة في اهتمام

« واعظ من الشرق يريد أن يعيد كل هؤلاء الخطاة إلى جادة الصواب .. »

وهنا صاح الحوذي من مقعده ، وهو يجذب للجام :

« يا للعبة ! ، عصابة الـ (باتديتس) ! »

« ماذا ؟ »

بدا الذعر على الجالسين بالعربية ، وتوتر الجميع ..

(*) (إماليا بلومر) هي المجاهدة التي متحت المرأة الأمريكية حق الانتخاب . يالها من مصداقة !

ونظرت (عبير) من النافذة لتتري أربعة رجال على ظهور خيولهم يقفون ليسبقوا طريق العربية ، وكان هناك جذع شجرة غليظ ساقط بالعرض ؛ ليزيد صعوبة الفرار . لا تدري من أين جاءوا به هنا ..

صاحت العاقس في غل :

« لابد أنك نحس .. أولاً هاجمك الهنود والآن هؤلاء الأوغاد .. »

كسدت (عبير) تحتج بأن هجوم الهنود كان أكثوية .. لكنها لم تستطع أن تقول هذا بالطبع ، ولعلت ترأف يا يحدث في قلب ..

سمعت أحد الرجال يحدث السابق بلغة لظنة :

« هيه . أنت يا قربة الدهن .. ابقى حيث أنت ؛ لأن ثقباً في رأسك لن يزينك جمالاً »

ثم هتف في تهذيب سخر :

« فلينزل السادة للركاب .. »

أطلق الوسيم سبة .. ثم فتح باب العربية ووثب منها . ولم ينس أن يساعد المرأتين على النزول .. بعد هذا نزل الواعظ والتاجر الذي تم يفهم بعد ما يحدث هاهنا .. لابد أن كل هذا كابوس ..

وقفت (عبير) ترمق قطاع الطرق هؤلاء ..

كان قائدهم منتحياً قدر الثياب .. يلوك عوداً من القطن وقد ثبت مساحه على عنق الجواد . سلاحاً عجيباً هو مزيج من البنفسجية ذات الأربعة ألوان ، والمسدس ذي الساقية ..

أما زملاؤه الثلاثة فلم يكونوا أفضل حالاً .. تتبدى الوحشية في عيونهم للزرقاء . ولحامهم مشعطة غير هليقة .. وكان أحدهم يحمل مدفعاً صغير الحجم فوق السرج .. وقد أعد عود ثقاب لإشعال الفتيل لو اقتضاه الأمر ..

نزع القائد قبعة في تهذيب .. وقال :

« أرجو أن تصامحن السيدتان على ما في مسكني من غفلة لكننا نحتاج - أنا ورفاقي - حاجة مزمعة للحلى والذهب والمساعات والدولارات .. واعتقد أن معاناة الجميع ستنتهي بمجرد أن تفرغوا جيوبكم ، وتعطونا هذا الصندوق من فوق العربية . »

في هلع صاح التاجر وقد احمرّ لغده وعرف نيك :

« لا ..! إن كل ثروتي في هذا الصندوق ! »

« إنها أشياء طيبة . وإني لأكرر عرضي بحماس أكثر .. »

« أنت لن تجرؤ .. »

« أنا لن أجرو ؟ ما رأيك يا (بيلي القدر) ؟ »

اتفجر (يبلل القذر) - وهو يستحق هذا الاسم حقاً -
يضحك كاشفاً عن أسنان تخره متموسة ، ومن الغريب
لـ (عبير) أن بقايا السيجار الذي كان في فمه لم تسقط
برغم أنه فتح فاه بالكامل ، ومعه ضحك الاثنان الاخران
حتى أغمعت عيونهما ..
وهنا قال القائد :

« هلموا يا شباب .. ولتته هذا الهراء »
في حماس راح الركاب - بالطبع ما عدا (عبير) -
ينزعون كل شيء ثمين يلبسونه أو في جيوبهم ..
وكان أكثرهم حماسة هو الفتى الوسيم (جيف) ..
وترجل أحد النصوص ؛ ليجمع كل شيء في مسيل قدر
ثم تسلق جانب العربة ؛ ليأخذ الصندوق ..
فما إن وضعه على سرج جواده وسط دموع التاجر ؛
حتى قال القائد في تهذيب مفتعل :
« والان يا سادة اغفروا لنا وقاحتنا .. فنحن
مضطرون لقتلكم ! »

« لكنك نلت ما تريد »
« إن (هاري الصفاح) لا يترك شهوداً .. »
وأشار إشارة ذات معنى إلى رجاله ، فصدرت قفعة
من الأسلحة تعلن استعدادهم .. وحك حامل المدفع عود



وأشار إشارة ذات معنى إلى رجاله ، فصدرت قفعة
من الأسلحة تعلن استعدادها ،

الثقاب في السرج فاشتعل .. ولم يتم أن يشع سيجاره
منه .. ثم راح يرمق الركاب المذعورين في استمتاع .
« اتلوا صلواتكم الأخيرة .. »
هنا كان الفتى الوسيم قد بلغ نهاية تحكمه في
أعصابه ..

وأدركت (عبير) أن قطرات الماء التي تبلل سرواله
لم تأت من المطر حتما . ورائه يصيح في هستريا :
« يا .. يا سيد (هاري) . نحن لم . نحن لم .
لا تقتلونا .. إن .. إن هذه الفتاة .. » - ويغظاظه جذب
(عبير) المذهولة من نراعتها
« هذه الفتاة هي السبب يمكنكم أن تقتلوا
تقتلونها فقط ! -

في غباء تساءل القائد .
« السبب في ماذا ؟ »
« لا .. لا أدري . ظننتكم تريدون ضحك .
ضحية ما .. »

نظرت (عبير) إليه في استعزاز . الخنزير !
كلهم يتصرفون بنفس الكيفية . يكونون عشاقا لا يشق
لهم غير . وعند بادرة الخطر الأولى يضحون بالحبوبة
عند أول لحظة . وتذكرت مقطعا من الشعر العامي

الساخر لشاعر مجهول يقول . (يموت حببي
ولا استهواش) ! قد يبدو غريبا ومضحكا لكنه حقيقي .
قال القائد في سام . وقد أثار هذا العرض الأخير
فتوته :

« هنا يا شباب . اتتهوا سريعا . »
وهنا صاح الواعظ رافعا يده :
« لحظة يا أخى . أنت لن تقبل أن تقتلنا قبل أن
نصلى من أجل خلاص أرواحنا .. »
« ليكن أيها الأب .. ومن يرى ؟ لربما سألت الله
أن يقدر لنا حين نلقاه في العالم الآخر .. »
أبجه الواعظ في تودة ليواجه الركاب . وأخرج
الكتاب المقدس .. ورسم بيده علامة البركة في
الهواء . وقال بصوت هادئ وقور :
« توبوا يا أبناءى فأنتم ستلقون خالقكم بعد
ثوان »

لا شيء سوى بكاء العاقس .. واصطكاك لسان
الفتى . ولولة التاجر على مائه .. ونهاث (عبير)
المنفل .

« لهذا تذكروا أن الرب دعانا لأن . »

وفي الثانية التالية ، لم تر (عبير) سوى رجلين
من اللصوص يصرخان ويستقطان من فوق صهوتى
جوابهم . ، وعندئذ عرفت أن الراجح كان يخفى
مصدرا في كتابه . وأنه قد حفر الصفحات ؛ ليجعل
منها صندوقا يذاريه فيه ..

عرفت كذلك أن عليهما أن تتحنى وتتمرغ في
الرمال . تسمع صوت الصراخ . وصوت الطلقات . ،
وحين رفعت عينيها رأت أنواعا ممرغا في الرمال
والنساء .. ورأت قائد اللصوص يطلق الرصاص
كوحش مسعور في كل اتجاه . ومعه حامل المدفع الذي
أشعل عود ثقاب آخر . لقد مات اثنان من اللصوص
الذين ..

ورأت العانس تلحف على ركبتيها ، والتاجر يحتمى
بالعربة . وشعرت أن هناك من يجذبها إليه بقوة .
فقطرت للوراء لتجد الوسيم يرقد وراءها متخذاً جسدها
كدرع .. !

.. « يا لك من خنزير ! . أنى تكف عن هذا ؟ »

ثم رأت حوافر الحصان تقترب .. وتقترب ..
رفعت رأسها : لتتري منظورا من أسفل لزعيم
اللصوص فوق صهوة جواده . كان يرمقها من عل

وقد تألقت الشمس وراء ظهره ورأته يصوب مدفعه
تجاهها ويقول :

.. « اثنان بطلقة واحدة ؟ إن إغراء هذا لشديد ؟ »

وحين ضغط الزناد

كان آخر ما تمنته (عبير) أن يكفى هذا لإعانتها
لعالمنا ..

وتمنت أن يكون الموت هينا في (لانتازيا) ..

.....

٥ - (هيل تاون) نفسها ..

كما يحدث دائما لم تنطلق الرصاصات من السلاح المعصوب نحوها ، بل جاءت من الوراء .. لتصطدم برأس قائد اللصوص .. ويتناثر الدم وشظايا المخ في كل صوب ..

والطلقة الثانية اصطدمت برأس حامل المدفع ، الذي توقف هتية وعود الثقاب ما زال بين أنامله .. قال شيئا ما عن النحس الذي يطارده .. ثم هوى كالصخرة من فوق صهوة جواده ..

هتف التاجر مشيرًا إلى الأفق :

« انظروا ! »

إذ - في الأفق - يقف ذلك الغارس راكبًا جواده .. على رأسه قبعة ، وأطراف عبايته تتطاير في الهواء . كان يعيد حشو سلاحه الذي يتصاعد الدخان من فوهته ..

ثم جذب لجام جواده وأطلق مبتعدًا ..

هتفت العائس في حيرة وهي تلتصق الغبار عن ثوبها :

« لقد أنقذنا . ولكن من هو ؟ هل الغارس الملتصق ؟ »

قال التاجر وهو يضع كفه على عينيه ليتقى الشمس : « كلا . الغارس الملتصق لابد أن يصيح في حصاته ، قائلاً : فلتبتعدوا (سينفر) ! ، أما هذا فلم يقل شيئاً .. »

لكن (عيبر) كانت تعرف الإجابة .

إخوان الدم ..

واحد منهم قتل الدب . وقتل اللصين ..

واحد منهم يلعب دور ملاكها الحارس . فمن هو ؟ ولماذا ؟

(هيل تاون) أخيرًا ..

برغم كونه وقت الغروب ، يمكننا يا رفاق أن نشامل معالم هذه المدينة .. مجرد واحدة من عشرات المدن المعاملة في الغرب الأمريكي .. ذات الطرقات الترابية .

دائمًا هناك فندق وحانة وحالوتى ومكتب (الشريف) ، ومصروف وعداد لترعيب حدوات الخيل .

ثمة راعي يقف يجلس في وضع غير مريح على

مريض الجهاد أمام الحانة ، وقد أسدل قبعته على وجهه
وراح يعزف نحتاً ما على جيتار عتيق ..

ثمة متمول ضريب .. وبعض عربات تجرها الخيول .
وبعض المتأنقين ذوى القبعات العالية يمشون مع نساء
نوات قبعات أكثر علواً ..

ومن حين لآخر تخرج طنقة رصاص من الحانة ، أو
يصطدم أحدهم ببها الدوار لينقذف إلى الخارج ،
ويسقط في حوض سقاء الخيل ..

الخلاصة أنها بلدة عادية جداً لا يميزها شيء ..

كانت (عبير) تفكر في هذا كله ..

حين راحت العربية تخرق شوارع المدينة الترابية ،
وكان الحوذو ثشاراً بما يكفى لدرجة أنه لم ينتظر
توقف العربية ..

بل راح يولول حاكياً ما حدث للجميع

وعند مكتب (الشريف) توقف أخيراً . جذب اعنة
الجهاد وراح يولول من جديد ..

وتجمع الرجال .. فتحوا باب العربية ؛ لينزلوا جثة
الواعظ الذى اخترمه الموت - بالمعنى الحرفى للكلمة -
ومدنها على الأرض ..

٥٠

ورأت (عبير) المأمور يخرج من مكتبه فى تزودة ،
وقد لمن إبهاميه فى لظافه ، وراح يلوك لفافة تبغ بين
أسنانه ..

كان يدنيا يوحى مظهره بالاسترخاء . وقد تبت
نجمة المأمور الشهيرة باستهتار على صدره . وإن
تزع قبعته على سبيل احترام الموت ..
ركل الجثة بطرف حذائه .. وهتف :

- « هذا (وايلد بوى هيكوك) . القاتل المحترف
وأخطر رماة (فيرجينيا) . إن عدد الوعاظ المزيقين
فى هذا الغرب يفوق عدد الخطاة الذين يعطونهم - »

- وبصق طرف لفافة التبغ .. وادف :

- « لقد كان قطاع الطرق محظوظين حقاً . فلا أحد
يظهر مستمناً فى حضرة (وايلد بوى) ويظل حياً .. »
- « لكنهم ماتوا .. »

- « الموت بأى سبب غير (وايلد بوى) يكون
رحيماً .. »

قال التاجر وهو يجنف العرق على جبينه ، وأسفل
عقه :

- « ليس هذا كل شيء .. لقد هاجم (الاباشر) هذه
السيدة وقتلوا زوجها كان هذا قبل أن تتركب معاً . »

أخصص الأمور هنا وفتح عيناً .. وتأمل (عبير)
فى اهتمام وهو يلوك لفافة التبغ .. حتى بدا لها كبقرة
عجوز ترعى .
وغنم فى لا مبالاة :

« (أباش) ؟ . هووم ... غريب ! .. لا يوجد
(أباش) هنا »

صاحت (عبير) فى حماس :

« بل (أباش) .. لقد سلخوا رأس زوجى .. »

« لا بد أنهم (سيوكس) .. (الاباش) لا يسلخون
الرءوس يا سيدتى .. »

وعلى كل حال لا أفنك خبيرة بـ (موديلات) هؤلاء
الهنود .. إن الخلط بين أنواعهم لهن .. كلهم يذفون
السهم ويلتفون الأثر ويرقصون بالرماح حول النار .
شعرت (عبير) بالخلق إبتها غلطة (تو الهمامل)
الذى حاول أن يسبك التمثيلية بسنخ رأسى الرجلين ..
لكنه أسدما .

والآن يتجه إصبع الاتهام نحو (السيوكس) .

رجل يرتدى ثياباً زرقاء ، وعلى رأسه قبعة رسم فوقها
سيفان متقاطعان . ووجهه يزدهان بلحية بيضاء
مهيبة .. كل ما فيه يوحى بأنه عسكرى .. وأنه يقود .

دنا منهم فأفسح له الرجال مكاناً . وقال أحدهم .
« إنه الجنرال (سكوت) » .
وقف الجنرال يتأمل الموقف . ثم هتف بصوت
مهيب مجلجل

« من كان موجوداً حين هجم الهنود ؟ »

« هذه .. السيدة .. »

دنا منها وبعينين نافذتين تأملها . وتساءل .

« هل رأيت ما حدث يا بنيتى ؟ »

« لا نعم . »

« أنت واثقة من أنهم كانوا (سيوكس) ؟ »

« لا ، أحسبهم كانوا . (أباش) »

« لا يوجد (أباش) هنا . إذن هم (سيوكس) »

وقد خرقوا الهدنة »

صاح أحد الرجال فى هستيريا :

« ويل لهم يا (جنرال) - إن الهنود الطيب هو

الذى مات ! »

ترأيت صيحات الحماس الدموى ، فقال الأمور فى حلق :

« يا (جنرال) إن مسئوليتك هى عن الهنود .. »

أما أنا فأحقق فى أمر النصوص . إن لكل منا مجال

تخصصه فدعنا لا نقصد عمل بعضنا »

قال (الجنرال) وهو ينقل نظراته النافذة إليه .

« أنا لا أطيق المننيين كما تعلم .. »

« وأنا لا أحمل العسكريين .. »

« إذن ستكون لى لقاءات عدة مع هذه السيدة ونسوف أجرد حملة تأييدية للقصاص غذا . »

واتصرف (الجنرال) فى شيء من عصبية .

فلما شار الأمور لـ (عجير) إلى الفندق . قاتلا لها إته مريب ولا بأس به . وإنه سيعود إليها فى الصباح ليرى ما تمكنه من معلومات عن الحاشين ..

« إن (هيل تاور) مدينة قفرة . لكنها أنظف من سواها »

وعنى باب الفندق حيثها العائس فى فتور . فهى ذاهبة : لتقيم لدى شقيقتها . . وعرفت (عجير) أن التاجر والوسيم سيكونان معها فى الفندق ..

إن مهمته محددة . ولكن كيف تبدأ ؟

هل تذهب إلى (الجنرال) لتسأله عن نواياه بهذه البساطة ؟

إن عمل الجواسيس يبدو سهلاً فى السيئما .. لكنه معقد فى فى الحلم إلى درجة لا توصف .

★ ★ ★

قرعات على باب الحجرة ..

ذهبت تفتحه فى حذر حاملة الشمعة : لتجد الفتى الوسيم واقفا وقد نزع قبعته ، وراح يتسم فى أدب

« مساء الخير يا مسز (ستون) .. »

« مساء الخير .. »

ابتلع ريقه .. وشمغم :

« كنت . أتساءل عما إذا كان من الممكن أن

تقبلى دعوتى إلى أ . لنقل سهرة لى المطعم .. »

« لا .. »

قالتها فى صرامة ، ودفعت الباب لتغلقه ، لكنها

وجدت حذاءه محشوراً فى فتحة الباب وعلى وجهه

اللزج اللوح ارتسمت بسمة مقبنة :

« لا تدربن ما سيفوتك .. »

« ليس عشاء مع الإسكندر المقدونى على كل

حال .. »

ثم فكرت .. لم لا ؟ ..

إن هذا سيعمنحها فرصة الاندماج مع القوم فى هذه

المدينة ، ونسوف تعرف من كلامهم الكثير .

ولكن كيف تخرج بهذه الثياب ؟ ثياب المرأة التى

سلخ (السيكس) رأمها منذ عام ، ثم زادتها أحداث
اليوم سوءاً

وكانما قرأ الفتى ما يجور بذهنها فاتحنى على
الأرض والتقط كيماء ورقياً به شيء ما . وقدمه لها
وابتسم ..

نظرت داخل الكيس فوجدت ثوباً جديداً .. يبدو أنه .
- « من المتجر .. ابتعته لك الآن .. أعرف أنك
فقدت حقيبتك إثر غارة الهنود .. »

- « لكنى لن . »

- « أرجوك »

لم تدر ما تقول . فهي لا ترغب في قبول هدايا من
هذا القتل . وهي تنفر دوماً من الرجال الشجعان وقت
السلام الجبناء إبان الخطر . ثم قالت لنفسها : إن
الأمر كله حتم . حتى المتجر ذاته هو من تسبيح
أحلامها فأى ضرر هناك من أن تفعل في الحلم شيئاً
تأباه في الواقع ؟

تناوبت الكيس شاكراً ، وهمت بخلق الباب في وجهه
حين سمعته يقول قى لطف :

- « لم يخلفنى سوى عشرين دولاراً وعشرة سنتات .
يمكنك أن تدفعيها لى قيم بعد ! »



قالتها في حيرامة ، ودفعت الباب بتملقه . لكنها
وجدت حذاءه محشوراً في فتحة الباب

أغلقت الباب في غنى . إن حذارته وخسته لاتقفان
عند حد .. لكن هذا أقصر إن معها دولارات
(ذوات المال) ولهم هذا الوعد - الوهم - أنه لن
يستطيع شراءها بشيء دفعت ثمنه بالكامل
وحين فتحت الباب - في ذروة أنافتها الأثوية - كان
أول ما فعلته هو أن تست لتقول في جيبه
زاده هذا سعادة وانحنى ليطبع على أناملها قبلة
نزجة زاده شاربه خشونة فكرته بملمس القدم
دودة النور ذات الممصات ..

كانت تربي هذه الديدار كقطرس من طقوس الربيع .
مشيا في الشارع بضع خطوات .
ثم رآته يفتح باب الحانة ويدخل معها
كان الجو غير راق للأسف ..

الخان يعبق الجو كأنما توقف هناك إلى يوم الدين ..
ونغمات نشاز تنصعد من بيتا عتيق يجلس إليه
عازف زنجي مخمور ..

الرجال جالسون إلى موائدهم يلعبون الورق ويحتسون
الشرباب ، ومجموعة من صيادي الفراء يلعبون
ال (برادى فير) . لعبة الأترع القوية ، وكان هناك
مكسيكيون يرتدون (البانشو) - الحرمة المكسيكية

الشهيرة - و (السومبريرو) - القبعة المكسيكية الأكثر
شهرة - يحتسون (التاكيلا) - المشروب المكسيكى
صالح الشهرة ..

تساءلت (عير) في حيرة :

- « كيف يجتمع مكسيكيون - وهم موجودون في
الجنوب - مع صيادي فراء - وهم موجودون في
الشمال قرب (كندا) - في مكان واحد ؟ »

قال (جيف) بلا مهالة وهو يشق الزحام :

- « هذه (فانتازيا) كما تعلمين . وفي (فانتازيا)

يفصح علم الجغرافيا مكانا للخيال »

- « كما أفصح علم الفلك مكانا في (جالاكتينا)

وأفصح علم الفيزياء مكانا في (١٠٧) »

- « تماما .. »

ضحكة خليعة من إحدى فتيات الحانة ، ولحمة في فم
أحدهم .. ورصاصة تنطلق من مكان ما إلى مكان ما .
جلس (جيف) مع (عير) إلى مائدة .. ونادى

الساقى وهو يتنهم لها محاولا أن يفتتها

وهنا شعرت (عير) أن الظلام قد حن ..

رفعت رأسها ، لتجد عملاقا يشبه الجبل حجما
وموضوعا ..

عملاقاً أشعث نامى اللحية قد فتح أزرار قميصه ،
حتى البطن ، كاشفاً عن صدر مشعر كغوريلا .
وكان هناك جرح قديم فى خده . وخنجر عملاق يتكلى
من نطاقه .

كان يقول شيئاً م :

« هيه يا أصفر ! نحن لا نخدم الأنسات هنا ! »
استشاط (جيف) غضباً ووقف . كان مستوى رأسه
عند بطن العملاق بالنضبط (هذا لأن العملاق كان منحنيًا) .
وصاح فى حنى :

« إتقى أطالبك أن تكون أكثر أدبا يا . »

« تطالبنا من ؟ »

واتهالت لعمتان على وجه بوسيم فلم يعد كذلك .
لكمة ثالثة أطارته مترين إلى الوراء . ثم لكمة رابعة
جعلته يختفى من الحانة (وربما من العالم) إلى الأبد .
وأمام عينى (عبير) المذعورتين : رأت العملاق
يجلس إلى المائدة وينحن ليقول لها فى حنان :
« هيا يا فتاة - لقد حان الوقت كى يكون لك رجل
حقيقى ! .. »

★ ★ ★

(★) أصفر تعنى جباناً بلغة الغرب

٦ - الفارس الوحيد ..

كانت (عبير) تعرف جيداً مشاهير الحانات هؤلاء
لكنها لم تجد فكرة للهرب من هذا الوحش .. ، فلو
لهضت لجذبها إليه .. ولو صرخت فلن يعا بها أحد .
ماذا تفعل ؟ ..

ومن أحد رواد الحانة جوار المائدة فصاح فى مرج :
« هاى ! .. يبدو أن (أجلى جو) قد وجد صديقاً »
« آخر من ؟ »

قالها بنبرة حاسمة عسيفة .. ، وعاد يبتسم لـ (عبير) .
يا له من مازق ! ..

★ ★ ★

انفتح باب الحانة الدوار . ورأت (عبير) راعى
يقر يدخل منه . كان يضع خرطاً على ظهره .. وثيابه
فى أسوأ حال ..

لم تر وجهه لأن القبة تميل ، لتغطى أكثره . لكنها
رأت أنه يحمل مسنسين فى نطاقه ، وكانا موضوعين
بحيث يشير مقبضهما إلى الأسف لا الخلف .
رائته يمشى بتؤدة نحو اليار ..

يضع الخراج على المنضدة .. ويريح ساقيه - اللتين
دفنهما في حذاءين ثوي رقيقة عالي الكعب - على مقعد
خشبي مرتفع .

جاء الساقى اللذين ذو الشارب الكث .. فقال له
شيئا ما دون أن ينظر إليه ..

سمعت الساقى يسأله في لقول :

« هل وفق جوادك يا راعي البقر ؟ »

هز الرجل رأسه أن نعم .. وتناول الكوب الممسو
بالرغوى من الساقى .. وأفرغه في فيه مرة واحدة ..
قال الساقى وهو يجفف بعض الأكواب :

« إن العيار يسبب الظما . ولابد أنك ابتلعت الكثير
منه . »

لم يرد راعي البقر .. ومنذ يده يطلب المزيد

ثم ألقى قطعة علة على المنضدة

هنا صرخت (عبير) لأن الوحش الذي يجلس

أمامها ضربها على يدها ، ليجذب انتباهها إلى دعاياته

رأت راعي البقر ينهض من مكانه في تودة ، القبة

تقطي أكثر وجهه لأنه يتنظر تقسيمه طيلة الوقت

في بضع يسير نحو مائدتها ..

يقف أمام العملاق الجالس - ويقول بصوت منهك :

« دعها تنصرف ! »

★ ★ ★

تحوّل وجه (أجلى جو) إلى لون اللطماطم . ومد
يده إلى الخنجر العملاق في خصره . وهو يسب يعنف :
« يا خيال المائة .. مستند على نعليك دور الرجل
القوى ؟ »

لكنه توقف ..

كان تصل العمدن البارز ينقرس في لحم عنقه
وأصير الزناد صوت الـ (كنيك) يوحى بأن العمدن
وحش يحاول التملص من سيطرة من يمسك به ..

متى أخرج راعي البقر العمدن ؟ لم يره أحد يفعل
ذلك .. كانت سرعته لا توصف ..

ويكتمات باردة قال لخصمه الذي فقد حماسه .

« أرى أننا بدأنا نقتاهم والان اغرب عن
وجهي .. »

« مستند يا راعي البقر ! »

« ربما .. ولكن ليس على طردى لك »

نهض العملاق متأقلا فلو أن النظرات تقتل تحوّل
راعى البقر إلى شهاب تذروه الريح . ويبطء غادر
المكان الذي سادته الصمت ..

وحتى صوت الأنفاس لم يعد هناك ..

وللمرة الأولى ترى (عبير) ملاح راعي البقر ..
كان - مرة أخرى - هو (شريف) ذاته .. وإن بدا
وجهه متعباً صارماً لم يتسهم قط في حياته .. لحيته
طويلة .. وشفتاه متشققتان .. وأظفاره مستطيلة
سوداء ، لقد نوحث الشمس بشرته إلى هذا الاحتراق ..
واختلط الغبار بالعرق في تجاعيده وعلى شعر حاجبيه .
لكنه ظل هو ..

لم يكلمها .. فقط أدار المسدس في الهواء بحركة
بهلوانية قصيرة ، فعاد السلاح إلى قرابه .
وعاد إلى التبارك ليواصل احتساء مشروبه .
- « مرحى ! »

دوى الصوت من مكان ما ..

ورأت (عبير) رجلاً مثاقفاً - إلى حد الاشتزاز -
يرتدى بذلة كاملة ، وسلاسل ذهبية ثقيلة تتدلى من
صدراها ؛ رأت هذا الرجل يهض قاصداً راعي البقر ..
وفي مودة يربت على كتفه :

- « أنت شجاع يا راعي البقر فكيلون هم من
جرعوا على تحدي (أجلى جو) .. »
لم يرد الرجل وواصل تأمله في صمت بليغ ..

- « تعال إلى مائتة بحق تلعب (البوكر) من
تعرفها ؟ »

لم يرد الرجل لكن صمته كان يملك الردود كلها
فتارة يصمت بمعنى (نعم) وتارة بمعنى (لا)
وتارة بمعنى (شكراً) ..

هذه المرة كان صمته يقور : نعم
وفي ذات القودة نهض ماشياً وراء الرجل
فأده هذا إلى مائدة انتشرت عليها أوراق اللعب ،
وعليها يجلس ثلاثة رجال لا توحى نظر اتهم بالراحة
كأنوا يتألمون القادم الجديد في التقاد
لكنه جذب مقعد وجلس .

قال أحدهم وهو (يحلظ) الأوراق ،
- « نحن نلعب ومسديتنا على المصدة يا راعي
البقر .. »

أخرج الرجل مسدسيه ووضعها على المنضدة ثم
أمسك بمجموعة أوراقه وبدأ اللعب
لن أحدثكم هنا عن تفاصيل ما حدث ؛ لأننى لا أعرف
شيئاً عن لعبة (البوكر) و (عبير) كذلك لا تعرف
لكننى أعرف أن الفتى رهن عسى مسدسيه ، مقابل
واحد من جياد هولاء السادة المربوطة خارج الحانة

سأله المتأنق ذو الينلة

« هل تريد توزيع الورق ؟ »

« ناب 1 »

« هل تريد مزيد، منه ؟ »

« ياب ! »

إنه يستخدم الـ (ياب) بمعنى (نعم) والـ (ناب) بمعنى (لا) كديدين رعاة البقر . ومنذ أن استعمل (جاري كوبر) هاتين اللفظتين في أفلامه غدا محتف على الفرسان الوحيدين أن يستعملوه . جميعهم بدءا به (بافالوبيل) وانتهاء به (لوكي لوك) .. دعونا نر الآن ما ثم بقي للعبة .

إن القتي يخسر باستمرار . ومجرى الحظ يمشى في صالحي المتأنق دون تردد ..

ابتسامه ثقة كريهة تترقب على شفتي المتأنق . بينما يواصل الكسب وابتسامة غامضة لتلاعب على شفتي الجالس جواره ..

راحت (عير) تدور ببصرها في أرجاء الحانة . ثم أزمعت أن تغادر المكان قبل أن تتعرض لمضايقة أخرى فالمكان - حتما - لا يناسب الأنسات الرقيات مثلهما

نهضت لتتصرف .. حين سمعت صوت راعي البقر يقول في اشمزاز ضاعطا على حروفه

« هذا هو كس شيء . إن الحظ يكون رائعا إذا تسلح بقليل من الغش ! »

ومن كم المتأنق رأت (عير) عددا من أوراق اللعب تتساقط ..

كلها (أسات) .

وفي اللحظة التالية رأت المتأنق يخرج من سوار قميصه مستعما دقيقا جدا بحجم صقارة تحكيم المباريات . ورأته يصوبه نحو رأس راعي البقر

إن مسدسات المقامرير المحترفين هذه شديدة انفتاح

برغم كونها لا تحوى سوى رصاصة واحدة دائما « أنت ذكي يا راعي البقر . لكنه ذكاء لا يطيل العمر .. »

في اللحظة التالية ركل راعي البقر المسكور أعلاه المنصدة . فانقلبت على الرجال الثلاثة وبوت طلاقة في الهواء ..

ثم وثب على الرجال الواقعيين على الأرض .. وراح يوجه اللكمات يميناً ويساراً كما يحلو له .

إلى الركلات لا تستعمل في مشاجرات الغرب أبدا ،
ونكن طريقة القتال هي (اللكمات القوية في الفك) ..
وأخيرا انتهى الحفل ، فنهض راعي البقر . استرد
مسدسيه وأعادها إلى هزامه بحركة بهلوقية سريعة ..
وأصلح من وضع قبعته ..
هذا وصل المأمور (ربما هو الـ (شريف)) ، فأتا
لا أعرف قارفاً بهيهب في الواقع) .
جاء بهز كرشه البدين ، ولغافة التبغ بين أسنانه
كالمعدة ..

وينظرة خبيثة قيم الموقف ثم سأل
« من أنت يا راعي البقر ؟ »
رفع راعي البقر للمذكور قبعته لأعلى قليلاً .. وغصم :
« سمعوني الجوال ! »
بهتت (عبير) . في كل مرة ترى فيها (شريف)
يكون اسمه (الجوال) ويكون مشغواً متمرداً على
كل شيء ..

إن في هذا تكراراً لا يخلو من إملال
قال المأمور وهو ييمص طرف اللغافة :
« أرى أنك أحدثت قدراً لا بأس به من الشغب ..
هل جئت إلى هذه المدينة لتبقى ؟ »



في اسحفة لتبـ ركـل راعي البقر المذكور أحدا
المنصدة .. فانقبت على الرجال الثلاثة

« أظن أنك .. »

« إذن دعني أصارحك بأنني لا أحب من هم على شاكلتك في مدينتي .. »

دعني أسمع عن حادث آخر . ولتجدن نفسك مطروداً من البلدة مكسواً بالتريش والقطران !

« باب ! »

أركت (عبير) أن المأمور متراخ . يقبل شرور بلذته كما هي ولا يطيق أن يجيء من الخارج من يعكر صفو هذا الصفاء ..

إنه يقبل الفساد ما دام فساداً صامداً

ولا يطيق من يرغمه على اتخاذ رد فعل ما نهضت لتتصرف لكن (الجوال) ناداه ..

« يا آنسة ! »

استدارت نحوه غير فاهمة . فدنا منها .. وقال في هدوء :

« أنا خارج . دعيني أوصلك إلى حيث تقطنين »

« أ »

وخرجت معه من الحانة على حين عادت نفقات المعزف تتردد وصحكات الفتيات . وطلعت الرصاص

وفي الخارج كان الظلام دامساً ..

سألته وهي تمشي جواره ملاحقة خطواته :

« هل تنوى البقاء هنا طويلاً ؟ »

« باب ! »

« هل أنت غريب من العدالة ؟ »

« نأب ! »

« ألا تقول شيئاً سوى (نأب) و (نأب) ؟ »

« نأب ! »

إنه لا يحب التثنية - فكرت (عبير) - وإن كان لا يجيد قواعد اللغة . المعروف أن تكون عنده لفظة مماثلة لـ (نأب) يرد بها على السؤال المنفي بدلاً من (نأب) بمعنى (لا) .

كانت الآن عند باب القديق . بالطبع لن تدعوه إلى الدخول ..

أبسمت له في حرج . وهنا لاحظت أنه يحدق في عينيها بإصرار واهتمام شديدين . أترأه يفكر في خلقها ؟ لن يدعشها ذلك ..

بعد ثانية أركت أنه يرمق القلادة التي تلبسها . قال لها وهو يرفع قبعتها عن عينيها .

« قلادة جميلة .. »

« ثم .. شكراً »

« لا يمتلكها سوى ابن زعيم (السيوكس) ! »

« ! »

« ولو كنت مكانك لحجبتها بعيداً عن العيون ! »

.....

* * *

٢- الخروج من (هيل تاون) ..

كانت الضوضاء تصم الأذان تحت نالفتها بالفتنق في
هذه الساعة المبكرة من الصباح ..

نهضت لقرى ما هناك ، فوجدت حركة غير عادية
في الشارع .. حركات أكثر من اللازم للون الأزرق .
كان هناك عجوز رث الثياب ممسكاً على الأرض ،
يسر المواقف لرجل يقف إلى جواره :

« إلهم (هك !) جنود الحامية (هك !) ذاهبون
لتدمير مصنع الـ (هك !) سيوكس ! »
« حسناً يفعلون ! »

ترأجت (صير) إلى الداخل ..
يأتها من مصيبة ! لقد جلبت الويال على (السيوكس)
الذين هم قومها ، وأنها بينهم .. ماذا تقول وماذا
تفعل ؟ لاهد من مخرج ما ..

هرعت إلى المرأة فارتدت الشعر الممتعار ، وأهانت
طلاء بشرتها بالدهان الشاحب إياه . ثم ارتدت ثيابها ..
وراحت تجول في الحجرة يمينا ويساراً .. حتماً لاهد من
إبلاغ قومها .. ولكن كيف تفعل ذلك ؟ كيف تصل إليهم ؟

لا مفر من أن تسرق حصاننا وتغادر ابنة الان حالا
نزلت في الدرج ببطء .. وهنا سمعت من يناديها -

« سيدة (ستون) ! .. ماذا تعملين ؟ » ..

أجفنت ونظرت للوراء .. فوجدت الفتى الوسيم
(جيف) واقفا بجانب النوم جوار باب غرفته . وقد بدا
عليه عدم الفهم ..

يا له من غدا ! المفترض أن يعترزل الوجود تماما
بعد العار الذي حل به ليلة أمس ..

قالت له في حلق :

« شعرت بحاجة لاستنشاق الهواء . »

« آه في هذه الساعة ؟ »

« كفى ريتي لاسرلك .. » كركر

وواصلت الهبوط في الدرج : حتى غادرت الفندق .
وابتعدت بضع خطوات حيث كان الجواد الذي تريده
واقفا قرب الباب يعيب الماء عينا من حوض السماء ..
ولم يكن امتطأؤه عسيرا على من هي ذات أصل
هندي .. صوت الحوافر يمزق هدوء الفجر . ولا أحد
جوار الفندق ليرى ما يحدث . لأن الزحام كله كان
ناحية المصروف الآن .

ولكن .. في أي اتجاه تمضي ؟

المفترض أن الهنود يجيدون هذه الأمور .. وإنهم
ليشعرون الأثر شمساً .. لكنها ليست هندية تماما . أو -
لمزيد من الدقة - هندية مظهرا مصرية عقلا ووجدانا
الصحراء الناعسة من أثر النوم تتمطى في كسل
لأمائها ..

والجواد ينهث ..

صوت الحوافر الرتيب يدوى دون انقطاع
والنعس يتمثل إلى عينيها . لكنها تقاوم

من ثوبه صبا الجوال .

كانت عظامه كلها تؤلمه ، لأنه لم يعتد النوم على
الأسرة قط . إن هذه الاختراعات اللعينة تتبعع تحت
جسده . ولا تلقى عظامك بتلك اليد الصارمة الحاتية
التي تلقاك بها الأرض .. لهذا - يمكننا فهم هذا - كان
جسده كتلة من الألم المتحرك . لكنه كان بحاجة
للنهوض ..

لماذا ؟ لأنه سمع صوت الحوافر الراكضة ، وإى
راعى يقر يعرف معنى سماع حوافر في الفجر .
إنها الفتاة حتماً ..

كيف عرف ؟ .. لا أدري بالضبط . لكن هذا النوع من رعاة البقر يعرف هذه الأمور بسهولة .

نهض إلى العرابة . وأخرج المومس ! لخلق ذئبه بالطريقة الجافة كما اعتاد . وهي عملية غير مثمرة لأن ذئبه ثقيل طويلة كما كانت ..

ثم يرتدى قميصه .. وبالطبع كل رعاة البقر الوحيديين ينامون بالسرول والحذاء .. والمسدس في نطاقهما المعلق عند رأس الفراش

ثم إنه يثب من النافذة بحركة رشيقة تنذف به فوق ظهر جواده نصف التام .. إنها ..

طش ش ش ش ! لا يوجد جواد ! ! فقط مياه السماء هناك من سرق الجواد ولمسوف يدفع الثمن . وسكير يمر مترنحا بقربه يقول له :

« (هك !) يا راعي البقر (هك !) إن هذا ليس حوض استعمال ! »

فيخرج من الحوض محتفا .. لو كانت هذه قصة مصورة لرسم الرسام سحابة من الدخان الأسود تخرج من رأسه . لكن الجوال اكتفى بأن يشعل لقافة تبغ يلوكلها تحت ضروسه .. ويترنح ..

إنن القنأة قد فرت ..

وبالتأكيد فرت راحية حصاته .

يا به من حص خائر صحيح أنه صار صاحبه منذ ست ساعات فقط بعد م ربح لعبة (البوكر) لاصحاب خصمه لكن هذا لا يعنى أن يهر مع أول لصة حسناء تستطيه .

إن الحبول لم تعد كعهده بها .

* * *

في هذه الأثناء تمر لحظات سوداء (عبير) .

فالحصان لا يطيعه يتاتا بس هو مصر على السير بطريقته الخاصة في مسار محدد له مسبقا . كأنما ينفذ برنامج متفك عليه من قبل

الحصان الذي ينحرف يمينا ثم يسارا ثم يمينا ويعبر جدوين ويشور حور جبل . هذا الحصان يعرف ما يفعله بالتأكيد ولا يركض احتياطا ..

شرعت تسبه وتنفه نكن النعين ظن مصرأ أحيرا ترى (عبير) مجموعة من الكهوف وترى الحصان يتمسك في ركضه ثم يمشى بتؤدة داخلأ أحدها ..

كان الظلام دامسا بالداخل لكن الوعد يعرف إلى أين هو ذاهب ..

ثمة تيار هواء بارد أت من مكان ما واشتعلت إذ
شعرت به يلمس وجهها ..

حبل لها أنها ترى ضوءاً خافتاً يدنو من طرف
المكان من وراء الصخور فكتمت صرخة ، وجذبت لجام
الجواد لتوقفه عن التقدم في اللحظة التالية رأت شيئاً
يحمل كشفاً في يده وقامت يدنو منها وتأملها داهلاً .
ومن وراء كتفه رأت عجوزاً أشيب وعسلاًقاً أشقر .
كلهم يتأملونها ذاهنين :

« من أنت ؟ »

« ريب كان على أن أسأل ذات السؤال »

« نحن ابطال (جور فيرن) نقوم برحلة إلى مركز
الأرض ومن المفترض أن تكون هذه الكهوف خالية »
« وأنت (عبيير) أقوم بمغامرة من مغامرات العرب »
صاح العجوز في نفاد صبر :

« هب يا (أكسل) دعه من هذه المتطفلة
ولتواصل رحلتنا ! »
قال (أكسل) .

« إن إدارة (فانناريا) غير دقيقة في مواعيدها
كان المفترض أن يرتبوا لها وقتاً آخر لمغامرتها هذه
هب يا (هانز) »

وأمام عينيها الذ هلقين اختلوا في الظلام !
من جديد عاد الظلام يسود المكان وعاد الجواد
يتقدم ببطء عبر الممرات الوعرة في النهاية توقف
في جيب كهفي صغير

وعلى الجدار تبينت (عبيير) وجود مشعل
وجوارء عدد من أعواد الثقاب فتناولت عوداً وحكته في
المسرج - كما تراهم يفعلون - ثم أشعلت المشعل ..
وراحت تستكشف المكان على الضوء الذهبي
المترافض ..

وطاويط ! . تبث لهذه الكائنات المريعة المشدومة
تتلى من جدار الكهف العلوى وعيوبها العمياء
تحقق في القادم الجديد ..

ثمة خيط ماء يتسرب من مكان ما فوق رأسها
ثم .. الحصان يتوقف كأنما أنهى الحد المسموح به
له كي يتقدم .. تقول (عبيير) من فوقه وبرقق تربت
على مخفره وتواصل السير : لتقرى م وراء هذه
القجوة الصخرية ..

ويتجدد الدم في عروقها ...
إنها قاعة كأنها قاعة اجتماعات تتوسطها مائدة
هائلة الحجم عليها (شمعدانات) عسلاقة وحولها مقاعد

اثنا عشر مقعدا على وجه التحديد .

أى مكان هذا ؟ ..

وفجأة سمعت صوت أقدام . فهرعت تتوارى فى
الفسحة خارج الكهف تحاول أن ترى ولا ترى . ويبعد
مرتجلة ربتت على منخر الحصان تتوسل إليه أن يلزم
الصمت .. وأطفأت المشعل ..

الضوء يتزايد فى القاعة مما يشى بأن الشمعدانات
تشعل .. ثم ترى أشباحا تتحرك بالداخل ..

وبصعوبة كتمت صرخة تريد أن تقار حلقها .. إنها
أشباح حقيقية لا مجازية . كل منها يضع عباءة
سوداء على كتفيه ويحجب وجهه بثام أسود ..
وعلى رأسه قبعة سوداء ..

ورأت عددهم يتزايد حتى بلغ أحد عشر شيخا .. اتخذ
كل منهم مقعدا على المائدة فى حين جلس واحد فى
الصدارة ، ليوحى بالزعامة .. وقال بصوت رخم عميق :
« أين (هيل تاون) ؟ »

تبادل الرجال النظرات ثم عادوا للصمت ..

« ألم تصله رسالتى ؟ »

« بلى لقد وصلت إلى (أوكلاهوما) وإلى
(شيكاغو) المقترض أنها وصلته .. »



وبها دعة كأي دعة جددت سوسنها مائدة هائدة
الحجم عليها (شمعدانات) حملاتة وحولها مقاعد ..

قالها أحدهم ، وعاد إلى الصمت ..

« إذن سنبدأ الاجتماع دون انتظار . لكن على أن

أعرف شخصياتكم أولاً .. »

ثم نظر تجاه أولهم وسأله :

« كم ريشة في جسد السنو ؟ »

« ثلاثمائة .. »

نظر للثاني متسائلاً :

« كم شعرة في ناحية العم (سام) ؟ »

« ألف .. »

وهكذا وأدركت (عير) أن هذه الإجابات يحفظها

كل من الرجال على انفراد في نهاية الاجتماع ليجيب

عنها في الاجتماع الثاني ، وهي طريقة لا بأس بها

للتأكد من أنه نفس الرجل الذي حضر الاجتماعين دون

كشف وجهه ..

ومن البديهي أن الأسئلة تتغير في كل مرة .

بعد هذا هدف الزعيم :

« ماذا تتفقون ؟ »

« الدم ! »

« وماذا جاء بكم ؟ »

« الدم ! »

« كم تنفعون لأجله ؟ »

« أرواحنا ! »

إلى آخر هذه الديالوج الممل الذي يذكره من قروا

الفصل الثاني ..

وأدركت (عير) أن هذا هو ملتقى « إخوان الدم »

الذين اصطفت بهم عدة مرات .. وراحت تستنتج

العلاقات التالية :

الحصان قادها لهذا .. إذن هو حصان عضو (هيل

تاون) . الحصان يخص الجوال ، لكنه لم يكن كذلك

ليلة أمس . كان يخص المقامر المحترف المتألق ..

إذن هو (هيل تاون) ذاته ..

وإذن المقامر مجرد شخصية وهمية ينعيها .. أما

الحقيقة فهي أنه — مثل (زورو) — يتحول ليلاً إلى

عضو في هذه الجمعية السرية ..

جمعية (إخوان الدم) ..

أب لماذا تخلص عن حصانه بسهولة برغم كون

الحصان يعرف أكثر مما يجب ، فلأن حالته بعد مشادة

الحاة لم تعد تسمح له بالمقاومة ..

إذن لا خوف هناك . لقد أنقذها « إخوان الدم » من

الموت مراراً . إنهم أخيار برغم مظهرهم المرعب ،

وغموضهم المخيف ..

وها هي ذي تسمع هذه المحادثة :

« ما هي إنجازات الأسبوع يا سادة ؟ »

قال أحدهم في حماس :

« لقد أحرقت ثلاثة زفوج أحياء ! »

« مرحى !.. فلنحبه ! »

راح الرجال يقرعون المائدة يعسوب مسدساتهم في

تناغم إيقاعي لا بأس به أبدا . كلاك . كلاك !

ثم سأل الزعيم ثقيهم عن إنجازاته -

« لقد سلخت قروة رأس امرأة هندية »

« مرحى ! كلاك . كلاك ! »

ثم أشار إلى آخر :

« وأنت يا (تكساس) ؟ »

« لقد أرغمت رجلا صيني على غسل حصاتي

بلمبانه ! »

كلاك .. كلاك ! ..

« وأنت يا (أوهايو) ؟ »

« حولت عيون أسرة زنجية إلى كرات تنس ولعبت

بها ! »

هنا كان شعر (عبيد) قد تصلب على جذوره . كما

يحدث في أفلام الرسوم المتحركة ، وراحت أسناتها

لصطك .

من هؤلاء ؟ إنهم أشد وأخط سفاحين عرفتهم في

حياتها .

إن كيف أنقذوها ؟ ولماذا ؟ وما هو هدفهم من هذه

الجمعية المريعة ؟

أسئلة كثيرة احتشنت في ذهنها ، ولم تجدها إجابة .

ومن المؤكد أنها لن تجد ، لأن الحصان مط عنقه -

حيث وقف جوارها في الظلام - وأطلق صهيقا

طويلا .. !

..... !

٨ - من أنت ؟

(وقال زعيم النصوص لرجاله) :

« من الذى عطف يا رجال ؟ »

« ليس أنا .. »

« ولا أنا . »

« إذن هناك غريب بيننا ! »

★ ★ ★

حاولت جاهدة أن تحرس الحصان .. وأتاها صوت الزعيم من داخل قاعة الاجتماعات السوداء . هذه يقول .

« أسمعتم ؟ »

« سمعنا ! »

« هلموا . القبضوا عليه وأحضروه حيًا والآنفضل ميتًا ! »

« سمعنا وأطعنا ! »

وانطلق الرجال نحو مصدر الصوت

وحاولت (عير) أن تتسنى ظهر الحصان ، لكن

الارتباك جعلها تنسى ما ينبغي عمله بالضبط ..

تركت الحصان وراحت تركض ..

تركض عالمة أنها لن تصل لشيء .. عالمة أنها
ستعثر فى الظلام حتما . عالمة أنهم حتم وجدوها .
يا للكارثة ! .. يجب أن ...

كان ذلك حين شعرت باليد القوية الحارمة تمسك لمها .
وشمعت تلك الرائحة المميزة . رائحة العرق المختلط
بالبخار وحساء الفاصوليا والبارلاق ..

إنها رائحة الجوال نعم هو كذلك ! الآن ترى
وجهه فى الضوء الخافت وترى للبسعة الغامضة على
شفتيه

وبصوت كاتهمس وإن كان أكثر انخفاضا يقول لها :

« صمتا ! . ودعيني أخرجك من هنا ! »

لم لا ؟ . وهكذا تترك له يدها . كى يتودع عبر
مرات مظلمة لا أول لها ولا آخر

وطاويط عديدة حلفت فوق الرعوس . وصخور
كثيرة تعثرت فيها الأقدام . لكنها - فى النهاية - ترى
النور وتعرف أنها غائرا حزام الكهوف هذا إلى
العراء ..

هناك ينتظرهما حصان أبيض رشيق يتطاير الشعر
من معرفته وتلتصع عضلاته الجميلة المبللة بالعرق
فى ضوء الشمس .

ساعدوا الجوال على الركوب .. ووثب ليركب خلفها
وأمسك باللجام ... وأطلق بالحصان لا يلوى على شيء

نوت طلقنا رصاص أو ثلاث ..

لكنها كانت تعرف أنهما ابتعدا مسافة كافية ..

سألته على صوت الحوافر المتزايد :

« كيف عرفت مكاني ؟ »

قال وهو يلوك اللقافة تبغ (لا تعرف من أين جاء بها
ويدها ممسكتان باللجام) :

« إنها قصة طويلة .. »

وعاد يلوك اللقافة .. كان يشير دهشتها دوما أن
رعاة البقر يتعاملون مع السجائر باعتبارها أشياء
تمضغ ولا تدخن ..

« إن احببها لي .. »

« حين نغدو في مأمن سأحكى لك كل شيء .. »

« والحصان ؟ »

« سرقة .. إن الحصان في القرب شبه بهريفة
في قطر .. يقرؤها الجميع على الكوالى .. والنتيجة
هي أن أحدا لا يشعر لحظة بحرمانه منها .. وبالتأكيد
صاحب هذا الحصان المسموق يبحث الآن عن حصان
آخر يسرقه .. »

« يا لها من مثق ! »

« إنها عدالة توزيع من نوع خاص . »

كان الليل قد حل .. وأخيرا يعود الجوال إلى جذوره .
يلزع قميصه ويفسله في الجدول ، ثم يعلقه فوق
حصن شجرة ، ويلبش غطاء وكيس نوم على القلا ..

ثم إنه يتشمم الجو بعض الوقت . ويشعل نارا في
مجموعة من جذوع الأشجار .. ويضع ثلاثة أحجار
كبيرة - أثاث كما يقول الأعراب - يضع فوقها إناء
صغيرا .

يفتح علبة طعام محفوظ بخنجر . ويلبغ ما فيها في
الإناء ..

وبعد ثوان تتصاعد رائحة الطعام

يضع بندقية (ونشستر) ذات مقبض مزخرف في
منازل (صبر) . ثم يصب الطعام في علبتين من
الصلح يقدم لها واحدة وله واحدة ..

« ما هذا ؟ »

سألته وهي تتشمم علبتها في اشملاز .. فقال :

« يا لالا .. »

سقطت عليه الطعام من يد (عير) ، وبحركة
لا إرادية شعرت بيده تتسلل لتقبض على اله (ونشستر) .

« أنت ؟ إذن كنت تخدعني كي ... ؟ »

أخرج من داخل حرجه قندين معدنيين يشبهان أقذاح
البيرة .. وصب القهوة فيهما وقال بلا مبالاة :

« تيمس الأمر كما تظنين . كنت واحدا من إخوان
الدم . هل تعرفين (الكونلوكس كلان) ؟ .. تلك

الجمعية السرية العنصرية التي تدعو لإبادة الملونين
جميعا ؟ إخوان الدم يدعون إلى الشيء ذاته . ويقتلون

للصفر والسود والحمرة دون تمييز ، ويؤمنون بأن هذا
هو السبيل الوحيد : ليمس العنصر الكون . »

ونقر على صدره في فخر .

« كنت أنا العضو (أوهايو) بين المراد الجمعية .
ولمت بأعمال مجيدة حق . إلى أن وجدت ذات يوم

بين أفراد قبيلة (السيوكس) .. ورحت أرافقك من
بعد . شعرت بأنني لست شريرا ، إلى هذا الحد ..

والهنود ليسوا سيئين إلى هذه الدرجة .. فتاة رفيقة
لطيفة مثلك رحبت أغازلها بعيني ، وكان لي فضل

إتقائك من الدب عند الجدول . ثم إتقائك من قطاع
الطرق .. هل تفكرين ؟ »

كادت تتفجر حتف الوجود الشماخبة لا يأكلون إلا
البازلاء .. والهنود لا يأكلون إلا القديد . أية حياة
هذه ؟ وفي أية ظروف يمكنها أن تأكل صحتنا من
الملوخية إذن ؟

وكانما سمع أفكارها : قال في ضيق :

« البروتوكول يحتم هذا النوع من الطعام »

ثم بدأ يعد القهوة في وعاء صدئ آخر .

سألته (عير) وهي تتأمل تراقص اللهب :

« كيف عثرت على ؟ »

قال دون أن ينظر إليها :

« الأمر هو نقش معين على حوافر الحصان ..

حصاتي الذي سرقته صباح اليوم . هذا النقش يعني أن

صاحب الحصان هو من إخوان الدم . .. إذن من المؤكد

أن الحصان قد جاء بك هاهنا . »

« وكيف عرفت مقر اجتماعهم ؟ »

« هذا حين .. »

ورفع وعاء القهوة من فوق النار وأردف .

« لأنني واحد من إخوان الدم .. ؟ »

وضحك في التصار :

« هاها .. نعم . تتحرك لم يخدمنى لحظة
عرفت أنهم يدبرون شيك وألهم أرسلوك بالذات لترأهم
الموقف في (هيل تاون) .. قررت أن أخلق قناعي
والعب دور القارس الوحيد . وأقعدتك مرة ثالثة في
الحانة .. لكنك حاولت الفرار .. وأنا لا أعرف مثلك
(هيل تاون) بين « أخوان الدم » ، لأننا لا نرى وجود
بعضنا أبدا . لكني تأكدت - حين رأيت آثار الحوافر -
من أنه هو المقامر الذي كاد يقتلني في لعبة (البوكر)
وعرفت أنك الآن في كهف الاجتماعات ..

ولهذا تحقت بك لأقعدك للمرة الرابعة .. »

فلت عرقه شاردة .. ثم سأله بعد دقائق :

« وب . لماذا يفعلون ذلك ؟ لماذا يعذبون

الملونين ؟ »

ناولها قوح قهوة يخرج البخار الساخن منه . وقال

« إن هذه الليلة قامت على أكتاف مجموعة من

المغامرين .. ومبدأ الحياة اليومية هنا هو (عش ودع

الآخرين يموتون) . إنا وإما هم .. إن هذه هي

أرض الهندو .. ونحن نريدها منهم .. لهذا لا يوجد حل

وسط .. نحن لوهم .. الغالبية تؤمن بالخداة كوسيلة

للحصول على الأرض . أما بعض المتطرفين فيؤمنون
بالدم . إن إخوان الدم يعبرون عن النمط النفسى
الأمريكى بشكل أكثر صراحة وأكثر فجاجة . لكنهما
الحقيقة .. »

« وما هو مكانك الآن ؟ »

« أوه . لقد تخلت عن موقعى ودورى حين أنقذت

حياة فتة ملونة . ولم أعد أطيع الأوامر التى تصلنا

بالحمام الزاجل .. لهذا أنا المرشح رقم واحد للقتل

الآن . وأراه على أن اجتماع اليوم كان مخصصا لى .

الآن يوجد ثلاثة مارشالات للولايات المتحدة يبحثون

عنى وأثنا عشر قاتلا . إن شعبيتى تزداد حقا »

وأخرج من جيبيه (هارمونيك) صغيرة راح يصغر

عليها . ثم - بصوت أجش خفيض - راح يقنى :

« أنا مطلوب حيا أو ميتا . »

لهذا سارحل يا صغيرتى ..

ولكن من سيكى من أجلى ؟ من سيصلى على

روحى ؟

« حين أتدلى من حبل المشنقة ! » (*)

(*) قضية حقيقية من أغلى الغرب .

ثم ازداد صوته رخامة :

« أنا راعي بقر مسكين وحيد .. »

« وموطنى بعيد .. بعيد .. »

ثم بدا عليه الارتباك .. وغمغم :

« معذرة .. هذا المقطع ليس من تأليفى .. إنه

خاص بالزميل (لاسى لوك) وقد اختلط على

الأمر ! »

« لا عليك ولكن قل لى : هل ارتكبت مذابح

كثيرة ؟ »

« آلاف منها ! » - هتف فى حماس - « لقد

سرت على خطى أبى العزيز .. وفى سن السابعة من

عمرى رأيته يقتحم كوخ صياد فراء أبهى ويفجر رأسه

بالرصاصة ، لأنه تزوج هندية وأنجب منها ! »

تصلبت (عبير) .. وسالته :

« هل .. هل أنجب بنت ؟ »

« أظن هذا .. كانت من نفس سنى ! »

« وتذكر اسم الهندية ؟ »

« أظن هذا أيضا لأن الصياد صاح حين رأى

أبى : (لقد نالوا منا ب بصقة الجاموس !) .. تصورى

هذا ! .. بصقة الجاموس ؟ .. »

« إن لديكم - معشر الهنود - أسماء لا تصدق ! »

فى اللحظة التالية وجد نفسه يحرق فى فوهة
البندقية ..

وسمع (عبير) تقول فى قسوة :

« إن أبائك هو قاتل أبى ومن الواضح أننا
سنتعامل الآن ! »

٩ - ٤ وقت للصفائف ..

« أليست خالفاً ؟ »

« نأب ١ »

« لاحظ أنك عدت لـ (نأب) و لـ (ياب) وكنت

قد نسيتهما فترة لا بأس بها .. »

« إنها طريقة لإظهار اللامبالاة .. نوع من لعب

دور (البارد) .. ولا حاجة هي لذلك مع طفلة مثلك .. »

« هذه الطفلة ستفجر رأسك حتماً .. »

« سيكون قراراً خاطئاً »

قالها وجرع جرعة كبيرة من القهوة :

« إن حامية الجنرال (سكوت) متجهة الآن

للتأديب (السيوكس) .. عليك أن تصلى هناك قبل

الحامية لتتذرى قوميك .. من دون صوتي لك يصير هذا

مستحيل .. »

وخلع قبعته وحك خصلات شعره البني الذي لم يعرف

الماء منذ قرون !

« ثم إنك لن تقتليني لأنني أروقي لك ! .. »

« مغرور ! »



في اللحظة التالية وجد نفسه يحدق في موهبة البندقية

« هذه هي الحقيقة . فنعطى لا يقاوم .. النساء
يعشقن من ولدوا خاسرين . أولئك المشاغبين الذين
لا يمكن ترويضهم . ، وأنا قد أثقنت حياتك مرارا ..
ولا أظن أنك تقتليني من أجل ما قرفه أبى . ، وهكذا
ترين صعوبة الموقف . فارس وسيم يعرف الطريق إلى
معسكر (السيوكس) أثقك من الموت أربع مرات
فهل يموت ؟ »

« نأب ! »

قالتها وهي تخفض قوة الهندقية في تردد ..
الواقع أنها لم تكن تتوى شيئا .. هو فهم هذا دون
جهد . ، خاصة أنها لم تلق هذا الذي يقولون : إنه
أبوها قط . فكيف تتقدم له ؟ كل ما هنالك أنها وجدت
من واجبها أن تفعل شيئا ما ..
قلت في سام :

« إبنى لا ... »

« شمش »

فأطعها وهويضع سبابته أمام شفتيه .. ورأت مسدديه
في يديه .. لا تدري متى ولا كيف أخرجهما من نطاقه .
وراح يرمى الأشجار المظلمة في تحفز
بعد ثانية تحركت غضون الأشجار . وبرز وجه

مغطى بالشعر الأبيض حتى إن (عبير) حسبته ذليلا
صجورا ..

ثم أدركت أنه جندى .. جندى نامى النحية يرتدى
بذلة رمادية اللون وعلى رأسه (كاسكيت) .. وقد بدا
في حال مزربة ..

هتف الجندى وهو يرفع يديه :

« لا تطلق النار يا راعى البقر .. »

وتربع على الأرض .. وراح يزحف نحو النار ببطء .
أعاد الجوال مسدديه إلى قرابهما وسأل وهو
يعود للجلوس :

« منذ متى ؟ »

« ثلاثة . »

« آخرون ؟ »

« ماتوا .. »

أخرج الجوال رغيث من الخبز الجاف . ونهض إلى
الجواد فتناول من سرجه زجاجة صغيرة . ، فذفها
نحو الجندى ..

فراح هذا يلتهم الخبز ويخرج من الزجاجة كلب
جالع ..

لم تفهم هي شيئا لكنها أدركت أن الجوال يفهم كل شيء كعادة رعاة البقر الوحيدين .. لم يكن هناك كثير من الكلام لأنه لا داعي له .. إنها لغة قوم يفهم بعضهم البعض بوضوح ..
مالت عليه تسأله هاسمة عما هناك .. فقال لها بلا مهالة :

- « الأمر واضح .. هذا جندي من جيش الجنوب قرى من فرقته مع آخرين منذ ثلاثة أيام .. مات الآخرون على يد الحدود الاتحاديين ونجا هو »
- « تعنى الحرب الأهلية الأمريكية بين الشمال والجنوب ؟ »

- « طبعاً . ليس التزامن دقيقاً . لكنك في (فانتازيا) حيث يتواجد كل شيء في وقت واحد »
- « وما هذه اللغة المختصرة ؟ »
- « هي لغة أناس سئموا الكلام .. »
كان الجندي قد فرغ من الأكل . فلفظ له الجوال لغة تبغ تشعلها هذا من النار . وسأله الجوال -
« كيف ؟ »
- « النخاع .. إن رائحته قوية .. »
- « لفرسان ؟ »

- « لا .. (شينين) .. أربعة أميال .. »
- « إذن نطلق .. »

وتناول دلو الماء وسكبه على النار لفساد الظلام إلا من رائحة النخاع المحتضر .. كان الظلام دامساً ثم عانت (عبير) ترى التجويز تزداد وضوحاً وتألفاً . وعادت تتبين قسماات الوجوه .

قال الجندي وهو يهرش لحيته :
- « نرحل فجراً .. هل أبداً أنا الحراسة ؟ »
- « نأبأ ! »
- « إذن أنا بعك .. »
- « نأبأ ! »

وتمدّ الجندي على الكلا وبعد ثوان تعالي صوت غطيظه ..

أشار الجوال إلى كيس النوم لتتخذ (عبير) فيه . وأشعل لغة تبغ .. وجلس ووضع اليد (ونشستر) على ركبته ..

قالت له وهي تلهث شاعرة بالبرد :
- « هل حقاً مننام وهو متيقظ ؟ أنا لا أثق به »
- « قد كذلك .. لهذا ساتولى الحراسة طيلة الليل وإن أوقظه ! »

- « يمكنني أن أبادل معك .. »

- « نأب !.. غذا يوم عصيب .. »

- « تصبح على خير .. »

- « أوه بيه .. »

وأغمضت (عبير) عينيها ..

شعور ممتع هو أن تغفو في أحضان الطبيعة . بينما يسهر هذا الفارس الوسيم القوى على حراستها . لماذا لا ترى أمثال هذا الجوال في دنيا الواقع ؟ كن من تراه من رجال لهم كرش كبير ويعودون لديارهم متعبين غارقين في العرق .. يحملون الجريدة باليد اليسرى وانبطيخة باليد اليمنى ، وكل مغامراتهم في الحياة هي ركوب الحافنة أو نيل علاوة ..

كان ذلك عندما تبين الخيط الأسود من الفجر .

وصحبت (عبير) من النوم شاعرة بأن هناك شيئاً ما على غير ما يرام . وحس فتحت عينيها أكثر رأت التالي :

١ - جندي الجنوب لم يعد رائداً

٢ - الجوال يقف رافع يديه إلى أعلى .

٣ - لا توجد بندقيّة معه .

٤ - أربعة من (بخوان الدم) يقتلون شاهرين

ممدساتهم في وجه الجوال

فلتت رائدة ترقب الموقف ..

كان أحد الرجال الملتئمين يضحك .. ويتكلم بصوت

مألوف تذكرت عبير أنها سمعته في الكهف :

- « والان يا (أوهايو) ينتهي سفرك الأبدى ! »

تراجع الجوال خطوة للوراء وفي ضيق تساءل :

« كيف وجدتمونا ؟ »

- « تنسى دوت أن هؤلاء كيولنا مميزة .. كان من

السهل أن تجد آثار الحدودات خارج الكهف . وكانت

تقود إلى هنا .. ثم شممت رائحة الدخان . أنت الفارس

الوحيد في العالم الذي ينسى اتجاه الريح حين يتناول

عشاءه .. »

قال الجوال وهو يغمض ثفاقة تبع عبير عابى بإشارة

توترهم

- « إذن فلننه هذه اللعبة سريعاً .. »

هتف أحدهم في زميله :

- « اتل قرار الإعدام .. »

أخرج هذا الأخير قطعة من الورق وفتحها وراح

يقرأ بصوت مسموع :

« إنه في ٨ مارس عام ١٧٦٨ تقرر إعدام العضو
(أرميو) لخطائته العظمى ، وخروجه من جمعية
(إخوان الدم) بعد ما أقسم قسم الدم .. وليكن قس اسمه
عبرة لكل خائن .. »

صاح الجوال مقاطعاً :

« تحفة يا شهاب .. كيف عرفتم أنه أنا ؟ .. إن
أهذا لم ير وجهي سوى (الأخ الأكبر) .. »
« كلنا نعرف سماتك منه .. ونعرف عاداتك .. »
ثم ارتفعت المستنسات نحو الجوال .. وأردف الرجل :
« هلا تلوث صلاتك الأخيرة يا (أرميو) ؟ »
في اللحظة التالية دوت أربع طلقات ارتج لها سكون
الغابة ..

وحلقت الطيور في الهواء محنقة لإزعاجها مبكراً ،
وعلى التلا تكومت أربع جثث منثمة والدم ينزل من
أجسادها ..

رفع الجوال رأسه مذهوشاً ليرى ماذا حدث ..
رأى الجندي يبرز من وراء الأشجار حاملاً مستنسيه ..
مستنسا في كس يد .. والدخان ينبعث من القوهتين ..

قال الجندي وهو يتنّف بالمستنسين نحو الجوال :
« هاك .. مطرة .. »

تساقط الجوال وهو يهيد المستنسين إلى نطاقه :
« لماذا .. »

« لم أرتعب لمسبب .. »

هنا بدأت (عبير) تفهم .. لابد أن النوم غلب
الجوال ، وحاول الجندي سرقة المستنسين والحصان
والفرار .. لكنه سمع هذه المعانشة ولم يطاوعه قلبه
على ترك مثقذه في موقف كهذا ..

لذا أفرغ ممدسيه في صدر المعتدين .. وعاد
لتصارع الجوال بأمنقه لما حدث ..

قال الجندي وهو يجنب الحصان إلى مقربة :

« (الشين) .. سمعوا حتماً .. »

« إنن نرهل الآن .. »

« خيولهم ؟ »

وأشار إلى الجثث الأربع .. فهز الجوال رأسه موافقاً
هذه المرة حصل كل منهم على حصان . وتركوا
حصانين في الغابة عالعين أن (الشين) سيجدونهما
هالاً ..

دوى صوت صراخ الهنود الهجومي فصاح
الجوال وهو يركل خاصرة حصاته»

« إنهم لا يضيعون وقتنا . فلتهرب ! »

وانطلق الفرسان الثلاثة يشقون طريقهم وسط
الأشجار . بينما سهام الهنود تنطير حولهم فى كل
صوب ..

١٠ - المضدوعون ..

التنهار اليكر يتنفس فى كمل فوق الربا .
وثلاثة فرسان يقطعون السهول على ظهور خيولهم
قاصدين معسكر (السيوكس) ، بعدما فروا من
(الشيين) ..

ولاح المعسكر من بعيد ودوت صرخات الكشافة
تعلن للقوم أن ثلاثة فرسان يندون من المعسكر .
ورات (عبير) عشرة خيول تدنو منهم يمتطيها
(ذو الدمامل) وآخرون معه . كانوا منججين بالسلاح
متأهبين للقتل فى أية لحظة ..

فب إن رآها (ذو الدمامل) حتى رفع ذراعه الأيمن
باترمح : ليوقف الرجال المتحمسين عن يمينه .

صاحت (عبير) بصوت متهدج :

« (صخرة الماء) تحبى أخاها (ذو الدمامل) »

قال بصوت مرتب :

« أرى وجهين شاحبين إلى جوار (صخرة الماء) »

« هم صديقان .. »

ثم أردفت وهى تنتزع شعرها الأشقر المستعار :

« إن الحامية قادمة لتهاجم (السيوكس) .. »
 « يا لغضبة (أوجاما) ! .. فليتخذ المقاتلون أهبتهم
 إذن .. ولنقم بإبعاد النساء والأطفال .. »
 هنا رفع الجوال يده طالبا الكلمة ونظر نحو الفتاة
 طالبا منها أن تعاونه في الترجمة :
 « فليسمح لي المحارب بالكلام . »
 قالت (عبير) بلغة (السيوكس) :
 « آجو .. وأ .. تضي .. سوها »
 « إن ما يحدث هنا هو نتيجة لعبة قنرة يمارسها
 بعض البيض .. وهؤلاء البيض يهمهم دوما أن تتشب
 الحروب بين الهنود والجنود . »
 « أما .. جى .. شاكنا »
 نظر الجوال إلى (عبير) في حيرة .. وبشك سألها :
 « هل هذه ترجمة كل ما قلت الآن ؟ »
 « إن لغة (السيوكس) بلغة حقاً .. »
 ثم إن الجوال أرفف بصوت عال :
 « لا تقاتلوا البيض . كل ما أرجوه هو أن تبتعدوا
 بمعسكركم عدة أميال .. ، إن أى صدام مع الحامية
 ستكون نتائجه وبيلة »
 « بونجا .. أيا .. هاه .. ! »

صاح (ذو الذمامل) في حلق وهو يلوح برمحه في
 الهواء :

« (السيوكس) لا يخافون الوجوه الشاحبة .. إنهم
 شجعان مثل الثور الجريئة .. ولا يبالون بالموت . »
 ترجمت (عبير) ما قاله في تعاسة .. فردد الجوال :
 « أنا أعرف جرأة (السيوكس) .. لكن البيض
 يملكون بنائق ومدافع . والمنفع يساوى عشرة رجال
 برماهم .. »

الخلاصة أن هذه المناقشة طالت بعض الوقت .
 وفي النهاية اقتنع (ذو الذمامل) بأن يرحل مع
 عشيرته إلى ولد بعيد .. على أن يترك لـ (عبير)
 و (الجوال) مهمة إقناع الوجوه الشاحبة بالسلام ..
 ولم تجرؤ (عبير) على إخباره بأن ما حدث كان
 نتيجة حتمية لحماقتهم ، وأن الجنرال (سكوت) -
 النموى - لم يُخدع لحظة ، وحسب الاعتماد من طرف
 (السيوكس) .
 والآن ينطلق الجوال ورفيقاه إلى الشرق باحثين عن
 حامية الجنرال ..

من بعيد تبدو أعلام الحامية وعرباتها ..

قال الجندي وهو يجنب لجام جواده :

« إلى هنا تنتهي رحلتى يا راعى البقر .. أنا لن

أدع هؤلاء (البائسى)^(١) كى يضعوا يدهم على .. »

« بابا ! »

وتبادل الرجلان تحية وبودا مليلة بالمحبة .

تتلخص فى أن كلا منهما ضرب بقبضته كتف الآخر ..

ثم أدار الجندي جواده فى الاتجاه العكسى وراح ينهب

الأرض نهبا ..

قالت (عبير) :

« يا لك من فراق مؤثر ! إنك لرجل مرهف

الحس يا جوال .. »

قال وهو يلوك لفافة التبغ :

« لا حيلة لى فى رقة مشاعرى .. »

ثم جذب لجام الجواد وانطلق - وهى وراءه -

قاصدين معسكر الحامية . ومن اللحظة الأولى أدركت

(عبير) أن شيئا ليس على ما يُرام .. ليس من المعتاد

أن يحتشد الناس بهذه الطريقة حول شيء ما - وليس

من المعتاد أن يكون هذا الشيء ممدداً بلا حراك .. وأن

يبرز سهم هندي ذو ريش من بين لوحى كتفيه ..

كان الموقف كالتالى : أحد الجنود قد لقي حتفه بسهم

هندي فى ظهره . وكان ممدداً على الأرض فى غباء ،

على حين وقف الجنود حوله يتبادلون السياب

والعبارات الغضبية ..

وكان الجنرال جاثيا على ركبة واحدة جوار الجثة

يتفحص السهم بالأملة ، ويدخن السيجار مفكراً ..

وهنا رأى القوم (عبير) والجوال - لصاح صائح

مبهم :

« إنها هندية .. هندية من (السيوكس) ! »

فى اللحظة التالية رأت (عبير) عشرات - لا بل

مئات - البنادق تصوب نحوها .. وسمعت الصيحة

المعتادة :

« اقتلوها يا شباب ! إن الهندي الطيب هو الذى

مات ! »

هب الجنرال رافعا يده اليمنى صائحا :

« توقفوا يا أبناءى ! يكفى القتل والدماء ! »

ثم هتف وهو يلوك سيجاره :

« انصرفوا فواكم لذبح هؤلاء المتوحشين في
معسكرهم ١٠٠ »

« إن الجنرال إنسان حقاً .. »

في هذه الآونة كان الجوال قد ترجل بدوره ، وراح
يتفحص الجثة في فضول .. ثم إنه أعاد تثبيت القبة
على رأسه .. وقال للجنرال وهو يشير للسهم :

« هذا السهم لم يطلقه هندي يا جنرال .. بل أطلقه
رجل أبيض .. رجل يهمه أن يستقل الجيش .. »

« ماذا تعني يا بني .. »

« أعني أن أسلحته غير ظاهر على مؤخرة
السهم .. لقد فُتِلَ هذا من قاذفة سهام وايم من قوم

وأراهن على إن « إخوان الدم » هم من فعل ذلك »

« إخوان ماذا .. »

« « إخوان الدم » .. تنظيم من البيض يسمى لإبادة

الهنود .. »

« يبدو لي تنظيمًا خيراً ! »

« ربما .. لكن ولديتك تحتم عليك التظاهر بالحياة ..

توجد معاهدة بينك وبين (السيوكس) عليك أن

تحترمها ما لم يثبت العكس .. »

« لقد ثبت العكس بالفعل ! »

« لم يثبت شيء .. سهم هندي مزيف .. وامرأة
حماة تزعم أن (الشيبين) هاجموا عربتها .. ولقد
فرت هذه المرأة من فندقها صباح اليوم .. »

« حقاً فرت ؟ »

« « ياب ! »

وقف الجنرال عاجزاً عن اتخاذ قرار صائب ..

في اللحظة التالية تعالى غبار الخيول في الأفق ..
وهتف هاتف إن مجموعة من الفرسان البيض قائمة .. »

واستطاع الجوال أن يرى ركيب الفرسان .. كانوا
مجموعة من رجال (هيل تاون) يتقدمهم الشريف

ومساعده ، والمقامر المحترف ، وبلطجي الحانة ..
وكان بعض الرجال مسلحين بالفلوس وبعضهم بالهبال ..

وعلى مسافة أمتار توقف الركيب .. وتقدم الشريف
بضع خطوات إلى الأمام بجواده .. وهتف في الجنرال :

« جئنا يا جنرال لتعاونكم في تأديب هؤلاء

المتوحشين .. »

وقال آخر وهو يجنب لجام جواده :

« إن الجيش والقوات المدنية مرغوبون على
التكاتف .. فكلنا نعمل من أجل (أمريكا) .. ولا نهم

النود التي تنبج أطفال (السيوكس) طالما هي يد
أمريكية مباركة ! »

« مرحى ! »

« يا لرب تؤمن .. »

تقدم الجوال بضع خطوات من جواده الشريف ..
وتأمل الأرض . ثم رفع عينيه لتلتقيا بعيني الرجل .
وفي شيء من المفارقة تسأل :

« لم أرك متحمسا إلى هذا الحد من قبل يا شريف »

« لأنني أهوى العدل يا راعي البقر . »

اتحنى الجوال على ركبته .. وتفحص آثار أقسام
الجواد على الرمال . ثم صاح قى الشريف :

« من أين تجيء بهذه الحنوات الجميلة لجرايك ؟ »

« نعم تكسامل بالضبط ! »

« إن هذه النقوش على الحنوات تذكرني بشيء ما

ألا ترى هذا معي ؟ »

هنا كانت (عبير) قد فهمت ..

كان هناك حصان يحمل هذه الحنوات في (هيل
تاون) وقد فرت هي به . معنى وجود حصان آخر
أن هناك اثنين من (إخوان الدم) في البلدة .. هذا
مستحيل إلا لو كان الشريف هو

« زعيم جماعة (إخوان الدم) ! »

قالها الجوال وهو يشير إلى النقوش على الرمال ..

* * *

قال الشريف وهو يجلف العرق على وجهه . ويرفع
السروال الذي تمسك به عن كرشه المعلق :

« إخوان ماذا ؟ بم تهرف يا راعي البقر ؟ »

قال الجوال بينما الصمت الرهيب يغمر الجميع :

« أنت تعرف أنني محق . كنت تتظاهر بالكسل

والتراخي . ومعنا كنت تغير تبرات صوتك فلم أستطع

« ولم يستطع عضو (هيل تاون) نفسه - أن يتعرقك ..

لكنك ظللت متشبها بالبروتوكول الأخرق الذي يحتم أن

تضع هذه الحنوات على حوافر حصانك .. لكنك تعرفني

جيذا . كنت ترائي طيلة الوقت . وأنت من جندتني

تلك الليلة في (أوهايو) . سيكون سهلا علي أن

أكشف جرائمك للعدالة . والمشقة هي العلاج المتباعد

لكن الأمراض العنصرية .. »

« أنت غدوت ثرثارا يا راعي البقر .. »

قالها الشريف وهو يداعب لجام جواده . ويردف

« لقد كانت شيمتك الصمت . وهذه هي مشكلة

أمثالك . يظنون بصحة طيبة طالما حافظوا على

صمتهم . لكنهم ما إن يتخلوا عن هذا الصمت حتى

تحين نهايتهم المريرة ! »

اللجام ينطلق كالرصاصة في وجه الجوال الذي كان
لا يزال راكعاً على الأرض قرب حوافر الحصان .
وصرخ هذا وهوى فوق الرمال .. لا بد أن الأثم كان
مريخاً ولكن للجواد لم ينو تركه لحال سبيله .. راح
يعايشه بحوافره ويخلطه بينها دون رحمة أو نية .
عطف ..

هتف الجنرال وقد أحزنه ما يحدث :

« توقف أيها الشريف حتى نفهم ما يحدث ! »

لكن الشريف لم ينتظر . مسرعان ما أدار مقود
جواده والطلق لا يلوى على شيء مبتعداً عن حشد
الجنود . وحاول أحد الجنود أن يوقعه بجذب اللجام ..
لكنه تلقى ركلة في وجهه أطارت الأسنان الثلاث الباقية
في أفه ..

« هاجموا ! »

كذا صاح الجنرال ملوحاً بسيفه . وعلى الفور اتخذ
الرجال أوضاع التصويب نحو القارس المنطلق بجواده
ليختفى في الأفق ..

« لا .. دعوه ! .. إنه لي ! »

صاح الجوال بوجه غارق في الدماء والرمال ..
ونفض على ركبتيه . وهرع إلى جواده وامتنعاه ..



صاح الجوال بوجه غارق في الدماء والرمال
ونفض على ركبتيه وهرع إلى جواده وامتنعاه .

وجذب اللجام .. فلم تر (غير) مفرًا من امتطاء
جوادها لتلحق به .. فهي لا تريد أن يهلك هذا المعتوه ..
يجب أن تكون جواره لتتبع هذا ..
صاح الجنرال في رجاله :

« لا تطلقوا النار يا رجال .. دعوا هؤلاء
المعتوهين يسوون مشاكلهم مع بعضهم .. »
ثم إذ رأى بعضهم مازال مصرًا على التصويب :
« كفى ! .. ساحول أول من يعصى أمري إلى
محكمة عسكرية ! »
فخلف الرجال يناديهم أسفين ..

بين الأشجار الكثيفة توقف الشريف ..
من جعبته أخرج شيئًا ما .. هذا الشيء هو عبادة
ولثام .. وضعهما على رأسه ففدا من إخوان الدم ..
سيكون الانتقام رهيئًا .. ولن يقتصر على الحمر
والصفر والسمر ، بل سيشمل البيض الذين يعاونون
هؤلاء .. أولئك الذين لا يفهمون فلسفة هذا المجتمع
الخالصة ..

ولكن يجب أولاً أن يجد مكانًا آخر للاجتماعات ، ثم
يرسل الحمام الأزاجل إلى من بقى من رجاله .. وعدل

يبدأ المرح .. سيكون عليه أيضًا أن يجد أعضاء
جديدين له (هيل تاون) وسواها من المدن ..
أما عن أعقد ما في الأمر فهو البحث عن شخصية
جديدة في بلد جديد .. ربما صار صاحب حالة أو
مارشالًا جانيلا .. من يدري ؟ للأسف لا توجد مهن
كثيرة في القرب للاختيار فيما بينها ..

وفجأة لم يدرك نفسه إلا وهو يظير من فوق صهوة
الحصان : ليتمرغ أرضًا ، وتتهشم كل عظامه ..
أدرك أن هناك حبلًا يحيط بجسده ، وأن هناك من
رماه بالشوطة من مكان ما ..
بالتفعل .. يرى قدمين أنثويتين وقسمين ذكريتين
ترتديان هذا الركوب ذا المهمالين ..

قال وهو يعتدل في جلسته ويترجع لثامه عن وجهه :
« أنت بارع يا جوال .. »
« باب ! »
قالها الجوال ومن ثقافة تبغ مشتتة في فم غريمه .
قال الشريف وهو يلوك اللقافة :
« والآن .. فلتنه هذه المسرحية .. »

صاحت (غير) في لهفة :
« نعم .. نعم .. أطلق النار على رأسه يا جوال »

ثم شعرت بالخجل من موبقتها ..
قال الجوّال وهو يرفع الأكشوطه عن خصمه ، ويلف
الحبل حول ساعده :

- « أريد تسوية عادلة .. رجلاً لرجل .. الآن ! »
لاحقت (صبير) أن وجه الجوّال خال من الجروح ..
كيف زال أثر اللجام من عليه ؟

هنا - على الفور - ظهرت الندبة على الخد ..
وأدركت (صبير) أن (دى - جى - ٢) قد سها قليلاً
ثم تدارك السهو !

الآن بفك الزعيم بقايا الحبل عن صدره ونهض
بهبطه :

- « أنت تريدان تسوية يا جوّال .. هذا يروق لى .. ! »

الآن يسود الصمت الغابة ..
حتى الظيور كفت عن تبادل السباب .. والأشجار
كفت عن الامتزاز .. والهواء كف عن الصلير بين
الأصصان ..

إنها أروع اللحظات فى قصص الغرب طراً ..
المواجهة بين فارسين ..

فمسحة خالية من الأشجار يقف الفارسان فيها
متواجهين ، وبينهما مسافة عشرة أمتار تقريباً ..
يد كل منهما تحوم جوار مبدسه الموضوع فى
نطاقه .. وعيناه لا تفارقان وجه غريمه ..
قالت (صبير) ، فى هلع وهى تتوارى خلف جذع
شجرة :

- « كنت أظنكما ستمشيان بضع خطوات وتظهر كل
منكما للآخر ثم تستديران وتطلقان .. »

قال الجوّال وهو يرمى خصمه فى ثبات :

- « ناب .. ! .. هذه هى الطريقة الإنجليزية .. طريقة
المادة .. أما نحن - الرعاع - فننتقى هكذا معتمدين
على سرعة الإطلاق ودقة التصويب .. »

ثم تركها وراح يسير فى تودة تجاه خصمه ..

لاشئ سوى صوت الكعنين فوق الأرض ..
صوت رنين للمهمالين ..

صوت الأنفاس الثقيلة المتوجسة ..
صوت الصمت ..

وهذا رجلان يوشك أحدهما - ولا أدري من - على
إلقاء الآخر بعد ثوان ..

النصر للأسرع والأدق تصويهاً والأقوى أعصاباً ..
لا شيء سوى الله

★ ★ ★

- « حان وقت العودة يا فتاة .. »
استدارت لترى من فوجدت (المرشد) واقفاً
بضبط نهاية قلعه كعائته وابتسامة مزعجة على
شفتيه .

في احتجاج صرخت :

- « لكننا لم نكنه بعد .. ! »

- « بالعكس .. لقد عدل الجيش عن الهجوم ، وانتهى
(إخوان الدم) .. وساد السلام .. إن نتيجة هذه
المبارزة تحصيل حاصل .. »

لم يدر متى ولا كيف هوت الكلمة على وجهه .. ثم
غاصت الركلة في أسفل بطنه ، فأطلق آهة وتهوى
راكفاً على ركبتيه :

- « أوااااه .. ! أنت صرت شرسة يا فتاة .. إن تأثير
هذه القصص العنيفة على أخلاقك ليثير .. أوووه .. !
قلقى ! »

- « كل ما أعرفه أنني لن أتركك تبغتنى عن هنا -
كما في كل مرة - دون أن أعرف ما حدث للجوال حقاً »

وهنا سمعت صوت الطلقة ..

★ ★ ★

رأت الجوال يسقط أرضاً والدم يملأ أعلى زراعته ..
صرخت في هلع .. لم تصدق ما يحدث .. هزعت
إليه ووسدت رأسه على صدرها .. وبوجه مقع بالوقت
نظرت إلى الزعيم :

- « أنت أيها الله .. »

كان واقفاً يرمقها بلا تعبير .. المسدس في يده
يبحث المخان من فوهته .. و ...

ثم سقط على وجهه كحجر ..

عذلاً تحرك الجوال .. وفهمت (عجير) .. لقد
انطلقت الرصاصتان في ثانية واحدة .. وكانت رصاصة
الجوال هي الفتاة ..

فهمت في أنه :

- « أنت جريح ! »

قال لاهثاً :

- « هذه هي تقاليد القصة .. كل ما هنالك هو أنني
سامزق قصيص الوغد ، وأصنع جبيرة .. في قصص
(الوبسترن) لا يصير الرصاص مشكلة .. فقط في
المساء أحاول انتزاع الرصاصة بخنجر محمى .. و .. »

من هذا ؟

وأشار نحو (المرشد) الذى وقف على بعد خطوات
ينتظر حتى تنتهى (عبير) من الاطمئنان ..
ولم ينتظر الجوال الإجابة .. بل أردف يجيب عن
سؤاله :

« أنت (المرشد) أليس كذلك ؟ »

« بلى .. فى خدمتك .. »

نهض الجوال لاهثاً .. وقال وهو يمسك نراعه :

« أبلغ الإدارة فى (فانتازيا) أننى لم ألقا
رائتى منذ شهرين .. كما ألتى طلبت مسدسين جديدين
فلم يعاها أبعد .. »

« إنه التضمم كما تعلم .. »

« لطيف أن أعرفك يا زميل .. »

★ ★ ★

كان الغروب يلقى بهامته الأرجوانية فوق الوجوه ؛
حين ودع الجوال (عبير) و (المرشد) وابتعد بجواده
نحو الألقى الغربى .. فهو جوال .. وحياته هى أن يجول
حتى يموت ..

دمعة انحدرت على خد (عبير) وهى تسمعه يترنم
من بعيد :

« أنا مطلوب حياً أو ميتاً .. »

لهذا سأرحل يا صغيرتى ..

ولكن من سيكى من أجلى ؟

من سيصلى على روحي ؟

حين أتدلى من حبل المشنقة

★ ★ ★

خاتمة

فى قصتنا القاصة نذهب مع (عبير) إلى أرض
الفراخنة ، وتركب عرباً (رعميس) الحربية لتواجه
(الحيتيين) فى (قلاش) ..

سيكون هناك الكثير من القبار والخيول الفلرة
والنساء ..

لكن هناك أيضاً متسفا للخيال .. متسفا لـ (فانتازيا) .

[تمت بحمد الله]

★ ★ ★

رقم الإيداع : ٥٢٦٦

الرقم الدولى : ٥ - ٢٦٥ - ٢٦٠ - ٩٧٧